يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

للأمير

عمر طوسون

١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م

مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية



للأمير

عمر طوسون

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

مطبعة صلاح الدين بالاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقبل علينا شهر يوليه من كل سنة فيذكرنا باليوم الأسود يوم ١١ منه ذلك اليوم الذى داست فيه انكلترا المعاهدات الدولية وتعلقت بأوهى الأسباب وضربت مدينة الاسكندرية . فاقترفت بذلك سبة الاعتداء على أمة لم يكن بينها وبينها إلا السلام واجترحت أثم التهجم على بلاد لم تناوئها الحرب ولم تبادئها بالعدوان والخصام .

ومن رأينا أنه لايجدينا شيء اكثر من ذكريات تاريخنا وأن الجد لنا كل الجد فى استثارة دفائن هذا التاريخ والاعتبار بتلك الذكريات حلوها ومرها . فاذا قلبنا صفحاته ورأينا فيها صفحة مجيدة نشرناها لأنها تحيي فينا روح الأمل بعودة ماضينا . وان كانت الأخرى وألفيناها صفحة سوداء لم نطو دونها كشحا ولم نضرب عنها صفحا لأننا لو سترناها وأغمضنا الطرف عنها أمسينا فى عماية ولم نعرف أخطاءنا فكان ذلك مدعاة لبقائنا فى غفلتنا سادرين وسببا فى جهلنا بعللنا الخلقية وأمراضنا الاجتماعية أبد الآبدين .

نعم ضربت انكلترا بمدافع أسطولها حصون مدينة الاسكندرية وتغلبت عليها وترتب على ذلك ماترتب من الاحتلال وما جره وراءه من النتائج الخطيرة التى لا زلنا نعانى شدائدها ونقاسى أهوالها ونكتوى بنارها . وهذا كله أمر معروف مفروغ منه . ولكن ماهى الأسباب التى حملتها على هذا العدوان ؟ وما هى الحالة التى كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية ؟ وهل كان فى امكانها مقاومة هذا الاسطول ؟ وهل كانت قواهما متفاوتة ؟ وما مقدار هذا التفاوت ؟ وهل قام الجيش المصرى المرابط فى هذه الحصون بواجبه الوطنى فى الذود عن البلاد والدفاع عن هذه الحصون حتى النفس الأخير ؟ وهل كان فى مقدور ساستنا وأولى الرأى والأمر فينا تغيير موقف انجلترا العدائى ؟ وما الذى حال بينهم وبين هذه السياسة القويمة الحكيمة ؟ ثم على من تقع بعد ذلك تبعة تخريب هذه الحصون وقتل هذه الأنفس العزيزة وضياع البلاد ؟ هذه كلها أمور تمر بخواطر الناس وخواطر المصريين خاصة ولكنهم لايجدون عنها جوابا . فأردنا أن نكتب هذه الرسالة فى هذا الموضوع لندعو بها المصريين الى تذكر يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ حتى يخطر دائما ببالهم ويمتزج بأنفسهم ويكون نصب أعينهم فى ليلهم ونهارهم . ثم لنجلو هذه الأمور الغامضة ولنكون على بينة من الأسباب والنتائج ولنستخلص من كل ذلك العبرة التاريخية لتكون لنا تذكرة ننتفع بها فى حاضرنا ومستقبلنا وانما يتذكر أولو الألباب ؟

عمر طوسون

حصون مدينة الاسكندرية

١ - من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك

كانت مدينة الاسكندرية أوسع رقعة قبل الفتح الاسلامى منها بعد هذا الفتح ، وكانت دائرة أسوارها القديمة المحيطة بها أكبر من دائرة سورها فى حكم العرب .

ذلك أنها كانت عاصمة المملكة المصرية منذ أسسها الاسكندر الأكبر إلى أن فتحها العرب ، فجلت عنها عساكر الرومان وأسرهم وحكامهم وكثيرون من النازلين بها من طوائف الأمم المختلفة ، خصوصاً بعد أن فتحت الفتح الثانى فى عهد خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وبعد أن اتخذت مدينة الفسطاط عاصمة للديار المصرية واكتظت بالسكان.

وكانت فى عهدها القديم مدينة منيعة حصينة غاية الحصانة مشهورة بأسوارها العديدة وخنادقها العميقة وأبوابها المحكمة وأبراجها الكثيرة الباذخة وحصونها العديدة الشامخة .

ولقد عانى العرب فى فتحها شدائد وأهوالا وظلوا فى حصارها ومهاجمتها أربعة عشر شهراً ، يصبحونها ويمسونها بالغارة تلو الغارة حتى فتحها الله عليهم ، فهالهم مارأوه فيها من وثيق البنيان وكثرة السكان ، وعظيم الحضارة والعمران ، وفسيح الميادين ، وعجيب الملاعب والعمد والأساطين ، وغرائب المبانى والقصور ، ووفرة الحوانيت والأسواق

والدور ، وروائع المسلات والعمارات والهياكل والكنائس والخانات .

ولما ظنوا أنها دانت لهم اتخذوا بها رابطة وشحنوها بمقاتلتهم، وعاد الفاتحون مع أميرهم عمرو بن العاص الى داخلية البلاد ، وتفرقوا فى أنحائها واتخذوا الفسطاط داراً لامارتهم . وظلت الحال على ذلك ردحا من الزمن .

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل عنها عمرا واستعمل عليها بدلا منه عبد الله بن سعد بن ابى السرح فلم تمض على ولاية هذا ايام حتى ثارت الاسكندرية على حاميتها فقتلوها واستولوا على مرابطها وكانوا قد كتبوا بذلك الى ملك الروم فأرسل اليهم المقاتلة والأمداد فملكوا المدينة وخرجوا منها لقتال المسلمين والاستيلاء على الريف ثم على سائر مصر وعند ذلك طلب المسلمون من الخليفة أن يعيد اليها عمرا لأن له هيبة فى صدورهم ومعرفة بحربهم . فأعاده اليها وعادت الحرب بينه وبينهم وكانت حرباً شعواء كتب الله النصر فيها للمسلمين وقد حلف عمرو لئن فتح الله عليه مدينة الاسكندرية ليهدمن حصونها وأسوارها . فلما فتحها الله عليه برّ بقسمه وسواها بالأرض ، حتى لا تعود فتنتقض على المسلمين مرة أخرى ويعتصم مقاتلها بأسوارها وحصونها .

وفى هذا الفتح الثانى استحر القتال بين عمرو والروم بالقرب من باب السدره فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولما رأى القتل قد استحر فيهم أمر برفع السيف عنهم رحمة بهم ،

وأسس فى هـــذا المكان مسجدا أسماه (مسجد الرحمـــة) وهو المسجد المعـــروف الآن بمسجد العمـــرى عند تقابل شـــارع أبى الدرداء بشارع الخـــديو الأول . وكان هذا المسجد أكـــبر مما هو عليه الآن كثيرا .

ثم فى أثناء ولاية احمـــد بن طولون على مصر عندما استقل بها فى نحـــو سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) أحاط الاسكنـــدرية بسور جـــديد خوفا من غارة عسكر الخليفة عليها . ويقـــال إن هذا السور هو الذى بقى إلى أن دخلها الفرنسيون كما يقال أيضـــا انه تهدم وانه بنى ثانيا فى أيام حكم المماليـــك البحرية وأن هذا هو الذى بقى عند مجيء الحملة الفرنسية .

واليك النصوص التى استندنا اليها فى هذا الشأن :ـ

قال ابن عبد الحـــكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) فى كتابه (فتوح مصر ص ٤٢) :ـ

كانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضهـــا الى جنب بعض ـ منّة وهى موضع المنـــارة وما والاها ، والاسكندرية وهى موضع قصبة الاسكندرية اليوم ، ونقيطة . وكان على كل واحـــدة منهن سور وسور من خـــلف ذلك على الثـــلاث مدن يحيط بهن جميعـــا ـ ثم نقل عن طريف الهمـــذانى أنه كان على الاسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق . ا هـ

وجاء فى خطـــط المقـريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١ م) ج ١ فى آخـر الــــكلام على مدينة الاسكندرية ما نصه :-

وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قنــــاطر مقنطرة عليها دور المدينــــة يسير تحتهـا الفارس وبيده رمح لا تضيـــق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينــــة . وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء - إلى أن قال - وكان عليهـا سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفــــة الألوان بينهـا خنادق وبين كل خندق وسور فصول . اه

وقال ابن عبد الحكم فى كتابه الآنف الذكر ص ٨٠ :

لما هزم الله تبـــارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العــاص بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى عمرو ومن معــــه فى طلب من هرب من الروم فى البر . فرجع من كان هرب من الروم فى البحـــر الى الاسكندرية فقتــلوا من كان فيهـا من المسلمين إلا من هرب منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها . اه

وهـــذا النص يتعلق بفتحها الأول .

وجاء فى الصفحة ٨٢ منه :-

وكتب عمرو بن العــــاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطـــاب رضى الله عنه - أما بعـــد ، فانى فتحت مدينة لا أصف ما فيهـا غير

أنى أصبت فيهـا أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك .

وعن أبى قبيل أن عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر . وعن محمد ابن سعيد الهاشمى قال : ترحل من الاسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص أو فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى - إلى أن قال - وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار لحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقى من بقى من الأسارى ممن بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان . اه

وجاء فى الصفحة ١٣٠ منه :—

لما استقامت للمسلمين البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع فى السواحل والنصف مقيمون معه . وكان يصيّر بالاسكندرية خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر . وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيها أخائذ . اهـ

وجاء فى الصفحتين ١٧٥ و ١٧٦ منه :—

كانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث . وقد كان عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد . فلما نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو ففعل . وكان على الاسكندرية سورها لحلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم ليهدمن سورها حتى تؤتى من كل مكان ـ إلى أن قال ـ وقتلهم عمرو حتى أمعن فى مدينتهم فكلم فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجد وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد الرحمة وانما سمى مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هنالك ، وهدم سورها كله . اه

وهذا النص يتعلق بفتحها الثانى .

وقال على باشا مبارك فى خططه ج ٧ ص ٤٣ :ـ

وفى القرن التاسع من الميلاد اعنى بعد فتح مصر بقرنين أيام خلافة المتوكل وهو العاشر من بنى العباس والثانى والثلاثون من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هدم أحمد بن طولون الأسوار القديمة (١) وبنى غيرها فما كان جهة البحر

(١) ـ لايتفق هذا مع النص الذى ذكرناه سابقا إلا أن يكون المراد أنه هدم أساس أسوارها لان أسوارها هدمت على يد عمرو بن العاص بعد انتقاضها وفتحها الفتح الثانى كما ذكره ابن عبد الحكم .

وقد رأينا أن عمرا انما هدم أسوارها التى كانت تعوق فتحها وهى أسوارها من ناحية البر وترك أسوارها البحرية على ما كانت عليه . وبذلك يستقيم الكلام هنا وفيما يأتى .

والغرب بقى على ماكان عليه مع بعض تغيير . وأما ماكان من الجهة الشرقية والجهة القبلية فقد دخل كثيرا لخراب هاتين الجهتين وذكر بعضهم أن ابن طولون انما عمر الأسوار القديمة فقط ثم فى سنة ١٢١٢ م اعترى المدينة والأسوار تخرب فاحش فبنى أحد من تولى على تخت الديار المصرية بعد صلاح الدين أسوارا أخر وهى التى بقيت الى دخول الفرنساوية .

ثم قال :ـ

وبهذا الانتقال كانت مساحة المدينة فى زمن ابن طولون أقل من نصف مساحتها فى زمن الرومانيين وبقيت على ماوضعها عليه ابن طولون الى زمن دخول الفرنساوية لكنها على حسب الأزمان والأحوال كانت أخذت فى التخرب . وفى سنة ١٧١٨ م بناء على ماذكره مابى قنصل فرنسا فى ذاك الوقت فى وصف اسكندرية كان التخرب قد اعتراها وغير معالمها حتى صار لايوجد فى مدينة العرب اكثر من مائة بيت وتحول غالب الناس الى ساحل الميناء وبنوا منازلهم فوق الأرض التى حدثت من انحسار البحر فى محل السبع غلوات وهجرت مدينة العرب بالكلية فكانت خرابا بلقعا لايأوى اليها إلا أشقياء الناس . وتلك البلد التى حدثت بنيت بانقاض مدينة الاروام . وعلى هذا كان الخراب ممتدا من مكان مدينة كانوب (ابو قير) إلى باب العرب (بالمكس) على ساحل البحر ، ومن جهة الأرض الى ساحل البحيرة وخليج

اسكندرية . وكان لايزيد عدد أهل البلد الجديد عن أربعة آلاف نفس . ا هـ

٢ — فى أواخر حكم المماليك الجراكسة

قال خليــــل بن شـــاهين الظاهرى حاكم الاســـكندرية فى عهـــد السلطان الاشرف برسباى من ســـلاطين دولة المماليك الجراكســـة والمتـــوفى ســـنة ٨٥٠ هـ (١٤٦٨ م) فى كتابه (زبدة كشـــف الممالك وبيان الطرق والمســـالك) ص ٣٩ فى الكلام على ثغـــر الاسكندرية وحصونه ما نصه :—

فصل فى ذكر ثغر الاسكندرية

وهو أجـــل ثغور الاســـلام وأعظمه يشتمل على سورين محكمين بهما عدة ابراج يحيـــط بها خنـــدق يطلق فيه المـــاء من البحر المحيـــط عند وقت الضرورة وللثغـــر عـــدة أبواب محكمة حتى أن على كل باب منهـــا ثلاثة أبواب من حـــديد وبأعـــلى الأبراج مناجيق ومكاحـــل . وفى وقت الضرورة يعلق على كل شرافة قنديل . وهـــذا الثغر فى غاية التحصـــين وعلى كل برج منه أعلام وطبلخاناه وأبواق وحرسية يشهر ذلك وقت الضرورة . ا هـ

٣ — قبل حكم محمـــد على

كانت حصون مدينـــة الاسكندرية عنـــد قدوم الحملـــة الفرنســـية عبارة عن سور محيـــط بهـا فيـــه ابراج ومزاغل ومرامى للنـــار وحوله خنـــدق يصـــل اليه ماء البحـــر الملح .

وهـــذا السور كان يســـمى ســـور العرب لأنه بنى فى زمن حكمهـــم وهـــذه حقيقـــة لاريب فيهـــا لأن دائرة هـــذا السور كانت أضـــيق كثيرا من دائرة مدينـــة البطالســـة أى الاســـكندرية القديمة عنـــد اســـتيلاء العرب عليهـــا :

وإليك تخطيط سور العـــرب المذكور :ــ

الجهـــة الشمالية منـــه

كان السور يبتـــدىء فى هـــذه الجهـــة من موقع البـاب رقم (١٠) من أبواب مخازن الجمـــارك الحاليـــة أمام شارع البحـــرية ويمتـــد فى اســـتدارته إلى ناحيـــة الشرق مســـافة قدرها ٣٤٠ مـــترا حيث كان يوجـــد فى نهاية هـــذه المسافة منـــه باب يدعى (باب البحـــر الغربى) — البـاب الأخضر — وموقعـــه الآن عند تقابل شـــارع الطوبجيـــة بشارع البـاب الأخضر . ثم يمتـــد فى اســـتدارته أيضـــا إلى ناحيـــة الشرق مسافة أخـــرى قدرها ٣٥٠ مترا الى أن يقطع شارع دانسطاسى . ثم ينحـــرف الى الجنوب قليـــلا ممتدا مســـافة قدرها ١٠٠ متر . ثم ينكسر متجها الى ناحيـــة الشمال ممتـــدا مسافة قدرها ١٥٠ مترا حتى يصـــل الى نقطة موقعهـــا الآن وراء المحـــكمة المختلطـــة بقدر ٦٠ مـــترا تقريبا . ثم يعتـــدل مشرقا مسافة قدرها ١٠٠ متر حيث كان يوجـــد فى نهاية هـــذه المسافة منـــه باب يدعى

(باب البحر الشرقى) كان موقعه بالقرب من تقاطع شارعى مسجد العطارين والسبع بنات الآن . ويمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٢٢٠ مترا حيث موقع البورصة الآن . ثم ينكسر مرة أخرى متجها الى الشمال مسافة قدرها ١٨٠ مترا مخترقا شارع البورصة القديمة الى نقطة تقابله بشارع سعد زغلول. ثم يعود فيعتدل الى ناحية الشرق الشمالى ممتدا مسافة قدرها ٥٨٠ مترا تقريبا حتى يصل الى موقع محطة الرمل الآن . ثم يرجع فينكسر الى ناحية الجنوب ممتدا مسافة قدرها ٣٢٠ مترا غربى شارع المسلة بمقدار ٣٠ مترا ثم يعتدل مرة أخرى الى ناحية الشرق ويكون حينئذ فى شمال شارع السلطان حسين كامل الآن وعلى بعد ٣٠ مترا منه ممتدا مسافة قدرها ١١٠٠ متر حتى يصل الى موضع حدائق البلدية الآن من شارع بلجيكا .

الجهة الشرقية منه

هذه الجهة تبتدىء عند تقاطع شارعى بلجيكا والسلطان حسين كامل فى موضع حدائق البلدية الآن ويتجه السور من هذه الجهة نحو الجنوب ممتدا مسافة قدرها ٢٣٠ مترا تقريبا حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب رشيد) أو الباب الشرقى . ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٠٠ متر تقريبا حتى يصل إلى موقع شارع الأمير عبد القادر الحالى .

الجهة الجنوبية منه

هذه الجهة من السور كانت تبتدىء من الجهة الشرقية الجنوبية . ثم يمتد السور منها ناحية الغرب مسافة قدرها ١٠٠٠ متر

تقريبا حتى يصـــل الى موقع محكمة العطارين الجزئية الآن . ثم يميل إلى ناحية الشمال قليلا ممتدا مسافة ١٠٠ متر حتى يصل الى جنوب كوم الدكة . ثم ينحرف الى ناحية الجنوب قليلا ممتدا مسافة قدرها ٢٧٠ مترا إلى أن يصل إلى موقع محطة مصر القديمة حيث كان يوجد فى نهـاية هذه المسافة منه باب يدعى قديما باسم (باب الصورى) ثم دعى بعد ذلك باسم (الباب الجديد) و (باب محرم بك) . ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٥٠ مترا الى أن يصل الى مبتدأ موقع شارع الخديو الأول ثم يعتدل إلى ناحية الغرب ممتدا مسافة قدرها ٣٥٠ مترا فى امتداد شارع الخديو الأول حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب سدره) أو (باب العمود) وموقعه الآن عند تقاطع شـارعى عمود السوارى والخديو الأول . ثم يمتد فى هذا الاتجاه مسافة أخرى قدرها ٩٧٠ مترا الى أن يصل الى موقع بورصة ميناء البصل الحاليـــة ويدور حولها ممتـــدا فى استدارته مسافة قدرها ٢٤٠ مترا تقريبا الى أن يصل الى ترعـــة المحمودية .

الجهـــة الغربية منـــه

تبتدىء هـــذه الجهة من السور المذكور من جنـــوبى هويس ترعـــة المحمودية الواقع أمام شون الاقطان ويمتـــد السور منهـــا متجها الى الشمال مســـافة قدرها ٣٥٠ مـــترا حيث كان يوجـــد فى نهاية هـــذه المســـافة منـــه باب يدعى (باب المغارات) وموقعـــه الآن بشارع الكوبرى القـــديم

أمام مكابس الأقطان . ثم يمتد فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٨٠ مترا . ثم ينكسر متجها قليلا الى ناحية الشمال الغربى ممتدا فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٣٠٠ متر حيث موقع رصيف جمرك المحمودية الآن . ثم يعتدل الى ناحية الشمال ممتدا مسافة قدرها ١٠٠ متر مارا بموقع مخازن الجمرك الآن ثم يستدير نحو الشرق قليلا مع اتجاهه إلى ناحية الشمال ممتدا فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٦٥٠ مترا مارا بمواقع مخازن جمرك الاسكندرية ومكتب البريد حيث ينتهى بالقرب من مواقع مخازن الدخان الآن غربى شارع البحرية . أى عند بدايته فى موقع الباب رقم (١٠) الآنف الذكر .

ومن هذا الوصف يعرف أن جزءا من مدينة الاسكندرية الحالية كان موجودا وقت مجىء الحملة الفرنسية ولم يكن داخل هذا السور وهذا الجزء هو الواقع شمال هذا السور بين الميناء الشرقية والميناء الغربية ويشتمل على قسم رأس التين وقسم الجمرك وجزء من قسم المنشية ولا بد أن يكون السبب فى ذلك يرجع الى أن هذا الجزء كان فى قديم الزمان مغمورا بالماء وكانت المينا آن متصلتين ببعضهما وكانت المدينة متصلة بجزيرة فاروس بواسطة جسر من الأحجار . وكان هذا الجسر هو الخط الفاصل بين الميناءين المذكورتين وكان حد الاسكندرية الشمالى ينتهى بسور العرب ولا يجاوزه .

والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن هذا الجزء لم يشيد ولم يصبح فى الحالة التى وجدته عليها الحملة الفرنسية إلا بعد أن ردم هذا الجسر وطمر واتصلت المينا آن يبعضهما ثم اتصلتا بجزيرة فاروس .

أما بناء هذا السور الحربى فانه كان على مايلوح من البناء الفاخر كما تدل على ذلك صوره ورسومه المخططة فى كتاب (وصف مصر) لعلماء الحملة الفرنسية .

ومما يؤسف له أشد الأسف عدم الاحتفاظ بهذا السور الأثرى القيم الذى هدم جانب منه وهو الجزء الواقع بالقرب من المينائين فى عهد حكم محمد على . ثم تهدم جزء آخر منه فى حكم الخديو اسماعيل . وباقيه هدم فى عهد الاحتلال الانكليزى .

واليك وصف هذا السور وقت مجىء الحملة الفرنسية كما جاء فى كتاب (وصف مصر) بالجزء الخاص بمدينة الاسكندرية الحديثة :—

لا يحتوى سور هذه المدينة المهجور الذى بعض اجزائه محصن بأكثر من ١٠٠ برج مختلفة الأشكال إلا على جزء من مدينة الاسكندرية اليونانية الرومانية القديمة . ويسمى هذا السور من زمن بعيد بسور مدينة العرب لأنه يظن أن امراء

الأمة العربية الذين دام لهم حكم الاسكندرية ومصر نحو ١٢٠٠ سنة هم الذين بنوه .

ويبدو لنا أن الواقع هو أن هذا السور الذى يبلغ امتداده ٧٨٩٣ مترا قد شيد العرب أكبر جزء منه فى القرن التاسع الميلادى (القرن الرابع الهجرى) وحالة حيطانه الآن التى يحميها خندق ضيق، سيئة على وجه العموم . وبين ابراجه الكثيرة الشاهقة التى أكثرها رحب وبنيانها فخم، يشاهد بعض ابراج واقعة على المينائين وعلى أطراف المدينة الحديثة يرجع تاريخ اقامتها الى القرون الأولى التى انشئت فيها مدينة الاسكندرية القديمة . فقد نقل الخلف عن السلف أن واحداً من هذه الأبراج وهو الذى يشرف على الفرضة الجديدة (الميناء الشرقية) من صنع يد الرومانيين وهذا البرج ما زال الى الآن يسمى (البرج الرومانى) وهو البرج القائم قرب مسلات كليوبطره وعلى الشمال منها .

وهنا لك برجان آخران يلفتان النظر بضخامتها ولونهما العتيق أحدهما قائم على الميناء الجديدة ومطل على مدخل الساحة التى عندها تنتهى قناطر المجرى المائى . والثانى يشرف على الميناء القديمة وبداخله برج آخر قائم فى وسطه . وهذا البرج المزدوج المتصلة حيطانه من الداخل بقبو مستدير، رحب جداً وبناؤه أنيق . كما أن بعض أبراج اخرى كانت أجزاؤها السفلى تستخدم ولابد لخزن الماء .

ويوجـــد صهريج نخم فى برج من الأبراج المطـــلة على واجهة المـــدينة الحديثة الجنوبية .

وقد رمم الحصن القائم فى الزاوية البارزة الواقعـــة جنوب غربى السور حتى أصبح فى حالة صالحة جداً للدفاع ويقال له نظـــراً لشكلـــه (الحصن المثلث) . ولكنه أبيـــد بالنيران التى اشتعلت فى مستودع باروده قبيل آخر عام ١٨٠١ م .

وتنتصب أبراج هذا الســـور المشيـــدة حسب مستلزمات الحرب فى الأزمنة الغـــابرة ، شامخة فوق مبانيها التى أعـــدت لاقامتها عليها . وجميعها منتهية بمماشى بارزة عن قواعـــدها . وبهـــذه المماشى شرفات بهـا كوى وثقوب بواسطتها يمكن منع من يريد الدنو من هـــذا السور . وكافة الأبراج التى فى الخـــط الخارجى لها أبواب سرية أو أبواب للخـــروج تطل على الخنـادق . وأغلب هـــذه الأبواب مرتفعـــة العتبات مترا أو مترين عن قاع الخنـادق ويحجبها الآن ساتر من البناء .

ويشاهـــد فى صلب بناء حيطـان الســـور وبالأخص فى أساس أغلب الأبراج كـــثير من أعمدة الرخام والصوان مندمجة اندماجا أفقيـا فيها ويرى أحـــد طرفيـا من الخـــارج . وبعض أجزاء وجهات هـــذه الحيطان مطلية بالمرمر لوقاية جوانبها من تأثير رطوبة البحر الملح التى تحـــدثها أنداء الليل الكثيفة المنتشرة على ساحل مصر . ويعـاين الانسـان تأثير الرطوبة الشديد فى الحجر الجيرى

ويرى كيف تحلله هذه الرطوبة بدرجة كبيرة متى تأمل فى حيطان السور القريبة من باب رشيد وفى الزاوية البارزة القائمة عنده .

وفى هذا السور خمسة أبواب منها اثنان فى واجهة المدينة الحديثة، واحد فى الشرق يسمى (باب رشيد) والآخر فى الجنوب يسمى (باب العمود) - عمود السوارى - . ثم الباب الذى فى الغرب وهو الذى يطل من البرج المائل على المرفأ القديم (الميناء الغربية). وهذا البرج هو آخر الأبراج غرباً . وهذه الأبواب مفتوحة فى الأبراج الراكبة فوق السور وفتحاتها تواريها من الخارج حيطان الأبراج . وتستخدم هذه الأبواب للاستكشاف وللدفاع عن الحامية على النمط الذى تستخدم فيه الأبواب السرية التى فى جوانب ابراج حصون فرنسا . ومصاريع هذه الأبواب من النجائر المتينة المصنوعة من خشب الجميز . ووجهاتها الخارجية مكسوة بصفائح من الحديد مثبتة بمسامير ذات رؤوس بارزة مشطوفة . ولكن هذا الحديد أكله الصدأ . أما خشبها الذى انحلت قشوره قليلا فهذا لم يزدد على مرور الأيام وكرور الأعوام إلا متانة . ويوجد على وجهات هذه الأبواب كتابة عربية كوفية وغير كوفية منها يعلم زمن انشائها - اهـ

والحقيقة أن عدد الأبواب لا بد أن يكون ستة لا خمسة لأنه كان يوجد فى الجنوب بابان لا باب واحد كما قالوا . ومما يؤسف له أشد الأسف أن الكتابة المنوه

عنها فى هذا الوصف التى كانت على أبواب هـــذا السور لم تنقل مع أنها كانت تنبئنا على الأقل عن اسم منشىء هـــذه المبـانى العظيمة .

وعدا أبراج سور العرب المذكورة كان يوجـــد من الحصون عند مجىء الحملة الفرنسيـــة قلعة فاروس أو قايتبـــاى التى هى عبارة عن ســـور محصن على طـــراز العصر الذى بنيت فيـــه وتحتوى على برج مربع الشـــكل مشيد فى أركانه أربعـــة أبراج صغـــيرة وبماشـــيه شرفة فيهـــا مصباح يضـــاء فى الليل . وكان فى غرف هـــذا البرج العليا أكداس من الأســـلحة المختلفـــة تراكم فوقها الصـــدأ وتدل حليهـــا وأشكالها عـــلى أن بعضها من أســـلحة الصليبيين والبعض الآخـــر من أسلحة حمـــلة لويس السادس عشر المنكودة ، كما كان يوجـــد حصن آخر يقال له طابيـــة فاروس الصغيرة لوقوعه إزاء القلعـــة السابقة وهو الطابيـــة المعروفة بطابية السلسلة الحاليـــة . وهذه الطابيـــة كانت مشـــيدة فى نهاية خط الصخور التى هى نهاية المينـــاء الشرقية من جهـــة الشرق . وقد بنيت هـــذه الطابيـــة للدفاع عن هـــذه الميناء . والصخور الموصـــلة لهـــذه الطابيـــة الصغـــيرة مرتفعـــة عن منسوب ماء البحـــر ولكنها كانت تغمـــر به عند اشـــتداد الأنواء .

وعند قـــدوم الفرنسيين لم يكن يوجد من هذه الطـــابية الصغـــيرة إلا برج مربع الشكل متخرب به بعض أجزاء من مدافع برى الصدأ حديدها من جـــراء رطوبة البحر الملح التى حلت هـــذا

الحديد وصيرته شرائح ونفايات معدنية .

ثم كان يوجد فى موضع مدرسة رأس التين الأميرية الآن حصن ثالث يشرف على الميناء الغربية .

ولما احتل الفرنسيون المدينة شيدوا حصونا لحمايتها من الاعتداء عليها من الخارج وهذا بيانها :ـ

(١) ـ حصن كوم الدكة . وهو الحصن الباقى إلى الآن وسموه حصن كريتان Fort Crétin تخليدا لذكرى المهندس الحربى الفرنسى القائمقام كريتان الذى أشرف على بنائه ثم قتل فى موقعة أبى قير التى نشبت بين الفرنسيين والجنود التركية فى ذلك الحين .

(٢) ـ حصن كوم الناظورة . وهو أيضا لايزال باقيا إلى الآن . وسموه حصن كافاريللى Fort Cafarelli باسم الجنرال الذى كان مشرفا على الأعمال الهندسية الحربية فى جيشهم . وهذا الجنرال فقد إحدى ساقيه قبل مجيئه إلى مصر واستعاض عنها بساق خشبية فكناه المصريون بأبى خشبة ثم قتل فى حصار عكاء .

(٣) ـ حصن لوتورك Fort Leteruce وهو حصن أقاموه غربى الحصن السابق على شاطىء البحر فى الموضع الذى به طابية صالح الحالية . ولوتورك اسم أحد قوادهم .

(٤) ـ حصن كليوبطره . وهو حصن شيدوه على المرتفعات

القائم عليهـا الآن المستشفى الأميرى وسموه بهذا الاسم لمجاورته للسلة المسماة بمسلة كليوبطره .

وقد أقاموا عـدا هذه الحصـون صفوفا من المـدافع (بطاريات) فى المواضع الآتية :-

(١) - بطارية فى نهـاية رأس التـين فى الموضع الذى صار فيما بعد طابية الفنار .

(٢) - بطارية فى شمـال رأس التين فى المـوضع الذى صار فيما بعد طابية سراى رأس التين .

(٣) - بطارية فى موضع منهد (ميس) ضبـاط الحرس الملكى الآن وكان فى موضعها قبل ذلك طابية الاسبتالية .

(٤) - بطارية فى موضع طـابية الأطة الحـالية .

هذه هى كل المنشئات التى أقامهـا الفرنسيون على شواطىء مدينة الاسكندرية وفى داخلهـا للدفاع عنها من عدو يهاجمهـا . وليـلاحظ أنه فى مواضع البطـاريات السالفـة الذكر أقيمت طوابى فيما بعد كما سبق .

٤ — فى حـكم محمد عـلى

عهد محمد على إلى جاليس بك تحصـين مدينة الاسكندرية

وفى عام ١٨٤٠ م كانت حصـــونها وأسلحتهـــا كما يؤخـــذ من رسوم الملازم نيوجنت Nugent من رجال البحرية البريطانية كالآتى :ـ

الحصون	مــدافع	اهــوان	الجــلة
«١» ـ طابية السلســلة	٦	—	٦
«٢» ـ « قبــور اليهــود	١٠	—	١٠
«٣» ـ « كوم الدكة	٦	٣	٩
«٤» ـ « كوم النــاظورة	١٢	٤	١٦
«٥» ـ « قايتبــاى	٢٠	١٢	٣٢
«٦» ـ « الأطــة	١٠	١	١١
«٧» ـ « سراى رأس التين	٤٦	١٧	٦٣
«٨» ـ « فنار رأس التين	٣٣	١٠	٤٣
«٩» ـ « صالح أغا	١٥	٣	١٨
«١٠» ـ « أم قبيبــة	٣٠	—	٣٠
«١١» ـ « القمــرية	١٠	٣	١٣
«١٢» ـ « الملاحة القديمــة	١٠	—	١٠
«١٣» ـ « الملاحة الجديدة	٣٤	—	٣٤
«١٤» ـ « الدخيــلة	١٠	٣	١٣
«١٥» ـ « جزيرة العجمى أو المرابــط	٨	٣	١١
«١٦» ـ طوابى دائرة السور	٧٠	—	٧٠
الجمــلة العمومية	٣٣٠	٥٩	٣٨٩

وبعـــد سنة ١٨٤٠ م وفى أواخـــر حكم محمـــد على زاد عـــدد هذه الحصون كما يؤخذ من القـــائمة المؤرخة بعام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) التى وضعهـــا حسن باشا الاسكندرانى ناظر البحـــرية المصرية الذى أدركتـــه المنية سنة ١٨٥٥ م فغـــرق مع من غرق فى سفينـــة القيادة (مفتـــاح جهاد) فى حرب القـــرم التى اشترك فيها الأسطول المصرى .

وهـــذه القائمة نقلها اسماعيـــل سرهنك باشـــا فى كتـــابه (حقائق الأخبـــار عن دول البحـــار) ج ٢ ص ٢٥٩ . ومنهـــا يتبين أن عـــدد هذه الحصون ومدافعها كان كالآتى :-

الحصون	مدافع	أهوان	الجملـــة
«١» - طابية الفنـــار	٥٧	٦	٦٣
«٢» - « الفنـــار الصغـــيرة	١	-	١
«٣» - « الـــتراب	٦١	١٢	٧٣
«٤» - « الاسبتالية الجديدة	١٣	١٠	٢٣
«٥» - « الاسبتالية القديمـــة	٢٥	-	٢٥
«٦» - « الأطـــة	٥٧	٧	٦٤
«٧» - قلعـــة برج الظفر	١١٠	٦	١١٦
«٨» - طابية ظهر منزل الفرنسيس	٦	٦	١٢
«٩» - « المفحمـــة	٨	-	٨

(تابع) بيان الحصون ومدافعها

الحصون	مدافع	أهوان	الجملة
«١٠» — « مسلة فرعون	٩	—	٩
«١١» — « قبور اليهود القديمة	١٠	—	١٠
«١٢» — « قبور اليهود الجديدة	٢٠	—	٢٠
«١٣» — « برج السلسلة	١٨	١	١٩
«١٤» — « باب شرقي	٦	—	٦
«١٥» — « كوم الناظورة	١٠	١	١١
«١٦» — « الدخيلة	٣	—	٣
«١٧» — « السلسية	٢٠	٢	٢٢
«١٨» — « المكس	٤٠	٩	٤٩
«١٩» — « القمرية	٩	١	١٠
«٢٠» — « أم قبيبة	٥٦	٤	٦٠
«٢١» — « الملاحة القديمة	١٤	١	١٥
«٢٢» — « الملاحة الجديدة	٣٤	١	٣٥
«٢٣» — « صالح أغا	١٣	—	١٣
«٢٤» — « باب سدرة	٨	—	٨
«٢٥» — « كوم الدكة	٩	٢	١١
الجملة	٦١٧	٦٩	٦٨٦

وزيادة فى بيان هـــذه الحصون ومواقعها نقول :ـ

(١) و (٢) — طابيتا الفنـــار والفنـار الصغـــيرة . هما الآن عبارة عن الطابيـــة المعروفة بطابيـــة الفنار برأس التين .

(٣) طابية الســراب . هى الآن تشغـــل خط النـار شمال سراى رأس التين ولهـــذا تسمى طابية سراى رأس التين .

(٤) و (٥) — طابيتا الاسبتاليـــة القديمـــة والاسبتاليـــة الجـــديدة . تقعان الآن تجـــاه قشلاقات وميس ضبـــاط الحرس الملكى فى المكان الذى كان قائما عليه هذان المستشفيان .

(٦) ـ طـــابية الأطة . لاتزال فى موضعهـــا كما كانت إلى الآن شرق حـــام الأنفوشى وبهـــا مركز لخفر سواحـــل قسم الاسكندرية والأطة كلمـــة تركية معناها الجزيرة وهـــذه الطابية الآن تعرف عنـــد الناس باسم طابيـــة القضا .

(٧) ـ قلعـــة برج الظفر . هى فى رأينا الطـــابية المعروفة الآن بطابية قايتباى للأسباب الآتية :ـ

(ا) ـ تسمية كثيرين من المؤلفين لهذا البرج باسم قايتبـاى .

(ب) ـ عـــدم ذكر اسم حصن قايتبـــاى فى قائمة حسن باشـــا الاسكندرانى مع انه كان أهم حصـــون الاسكنـــدرية كما يؤخذ من حالة تسليحه .

(ح) ـ مجىء هـــذا الحصن فى الذكر بعد طـــابية الأطة

فى قائمة حسن باشـــا الاسكندرانى وكذلك فى الوضع الجغرافى فانه فيه بعد هذا الحصن شرقا .

نعم كان يوجـــد بين موقع مسجـــد الامام البوصـــيرى وسراى المحـــافظة القديمة على شـــاطىء البحر برج صغـــير كان معروفا بين النـــاس باسم البرج الزفر (برج الظفر) . وقـــد زال ومحيت آثاره منـــذ أن ردم ساحل البحر فى هـــذه الجهة وأقيم بناء رصيف المينـــاء الشرقية الجديد فيجوز أن يكـــون برج الظفر هو هـــذا البرج الذى زال . وقلعـــة برج الظفر هى الطـــابية المعروفة بطـــابية قايتباى . ولامحيد عن أحد هذين الرأيين ، واهمال ذكر برج الظفر بهـــذا الاسم وحـــده فى قائمة حسن باشـــا الاسكندرانى يكـــون لأنه أدمجه تحت اسم قلعـــة برج الظفر أو لأنه لم يكن له أهمية حربية .

(٨) ـ طـــابية ظهر منزل الفرنسيس . كانت واقعـــة كما يدل على ذلك اسمهـــا على البحر خلف قنصلية فرنسا القـــديمة التى كانت مشيدة محـــل ميدان سعد باشا زغـــلول الآن ودمرتها نيران الاسطول البريطانى سنة ١٨٨٢ م عند اطلاق قنابله على المدينة .

(٩) ـ طـــابية المفحمة . كانت قائمة عـــلى شـاطىء البحر أيضا شرقى الطابية السابقة عند نهاية شارع البورصة القديمة .

(١٠) ـ طـــابية مسلة فرعون . كانت كما يدل عـــلى ذلك اسمها قرب مسلة فرعون بجوار محطة الرمل الحالية .

(١١) و (١٢) — طابيتا قبور اليهود القديمة وقبور اليهود الجديدة . كانت أولاهما فى موضع المستشفى الأميرى الحالى . والثانية بين نهاية شارع يوسف عز الدين ورأس السلسلة .

(١٣) — طابية برج السلسلة — كانت تشغل الرأس الداخل فى البحر الذى حولته البلدية الى متنزه .

(١٤) — طابية باب شرقى — كانت قائمة بالقرب من أحد أبواب سور المدينة وهو الباب المسمى بهذا الاسم والمسمى أيضاً بباب رشيد . وموقعها الآن فى شارع فؤاد الأول عند ملتقى شارع السلطان حسين كامل بشارع بلجيكا .

(١٥) — طابية كوم الناظورة (الناضورة) — لا تزال باقية وفيها الآن مركز اشارات مصلحة الموانى والمنائر .

(١٦) — طابية الدخيلة — كانت واقعة بين باب العرب وطابية العجمى .

(١٧) — طابية السلبية — وهذه لا بد أن موقعها كان بين طابيتى الدخيلة والمكس .

(١٨) — طابية المكس — وهى قائمة الى الآن قرب باب العرب .

(١٩) — طابية القمرية — كانت واقعة شرق الطابية

السابقـــة فى موضع مركـــز اشارات مصلحة الموانى والمنائر .

(٢٠) — طابية أم قبيبة — كانت شرق طـابية القمـــرية المـــذكورة وبينها وبين طـــابية صالح اغا فى مـــوضع شوادر الخشب الآن .

(٢١) و (٢٢) — طـابيتا المـــلاحة القديمة والمـــلاحة الجديدة — هما على هـــذا الترتيب حصنـا اليسرى الصغرى واليسرى الكبرى الحـــاليتان القائمتان بين طريق المـــكس وبحـــيرة مريوط خلف المحطـــة القـــديمة التى كانت لخط ســـكة حديد مريوط ثم تحولت الآن مـــدرسة للبنـات (مدرســـة المعلمـــات الورديان) والحصن الشرقى منهـــا الذى هو طابيـــة الملاحة القـــديمة مبين بخـــريطة مصلحة المسـاحة باسم حصن الملاحة .

(٢٣) — طـابية صـالح أغا — لا تزال باقيـــة الى الآن ومعروفة باسم طابية صـــالح . وهى التى تقـــوم باطـــلاق المدافع لتحيـــة السفن الحربية القـادمة الى الاســـكندرية .

(٢٤) — طابية باب ســـدره — كان موقعها قرب أحـــد أبواب ســـور العرب المعروف بباب الســـدره وموقع هـــذا الباب الآن بشارع الخديو الأول تجـاه شارع عمود الســـوارى .

(٢٥) — طابية كوم الدكة أو كوم الدماس — لا تزال باقيـــة الى الآن فى موقعهـا على الشـــارع المعروف بشارع نبى الله دانيال . وهى مشهـــورة غنية عن التعريف .

٥ ـ فى حكم ابراهيم باشا

قال على باشا مبارك فى خططه ج ٧ ص ٦٠ مانصه :

قد اشتغل ابراهيم باشا بمجرد استيلائه بأمور مهمة فى اسكندرية وغيرها ذات منافع عمومية من ضمنها تكميل طوابى اسكندرية واستحكاماتها على الوجه الذى أسست عليه فى عهد العزيز والده وشحنها بالعسكر والأسلحة والآلات ومر بالساحل من اسكندرية الى رشيد ثم الى دمياط واستكشفه بنفسه ـ إلى أن قال ـ وأمر فى ثغر اسكندرية بانشاء مائتين وخمسين شلوبة طوبجية كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ البوغازات والملاحات . وكان عازما على تخطيط سكة تبتدىء من الاسكندرية وتمر بناحية أبى قير وتستمر الى رشيد ليسهل السير على العساكر والمهمات عند الحاجة ـ إلى أن قال ـ لكن لم تمهله الأيام حتى يتم ما شرع فيه وما عزم عليه . اه

٦ ـ فى حكم عباس الأول

وقال على باشا مبارك أيضا فى خططه ج ٧ ص ٦١ أثناء الكلام على الاسكندرية فى زمن المرحوم عباس باشا ما نصه :ـ

وكان مما وجه همته اليه زيادة على غيره تتميم الاستحكامات والطوابى والقلاع طبق مارسمه رئيس هندسة الاستحكامات جاليس بك ووافقه عليه ذوو الدراية والخبرة وأقره الخديو . فأقام معظم حصونها وأضاف إليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخلها فى النقط المهمة ، ومن

ذلك قلعة مقابر اليهـــود وقلعة أبي قير وقلعة العجمى مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها . فأنشأ فى قلعة مقابر اليهود جبخانة جسيمة تسع تسعة آلاف قنطار من البارود وهى إلى الآن مستعملة فى حفظ البارود . وعمل فى قلعـــة أبى قير مخبزا وطواحين تدور بالهـــواء . واسبتالية لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وما جاورها من القلاع فكانت العساكر المقيمة فى تلك الجهـــات لا تحتاج لشىء يأتى من الخارج . ولم يزل ملتفتا الى الاستحكامات والقلاع والحصـــون عازما على إتمامها فيلحق بها ما يلزم من الورش والبطاريات الطـــوبجية وقشلاقات العساكر المحافظين والاسبتاليات وغير ذلك حتى انتظم اكثر القلاع التى كان جده وعمه مهتمين بها . وبنيت ورشة للطوبجية فى وسط المدينة فى شرقى المحل المعروف بكوم الناضورة طولها مائتا متر فى مثلها عرضا مشتملة على جميع محـــلات التشغيل كمحلات النجارة والحدادة والبرادة والسبك وغير ذلك كالمخازن . وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمال والمعلمين فصارت من أحسن ما يعمل من هذا القبيل . وعمل بها عـــدة بطاريات يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ثم أبطلها المرحوم سعيـد باشا وأمر ببيع أرضها للأهـالى فبنيت منـازل وغير ذلك ومن ضمنها الآن حمام هنيدى (حمام الورشة) وأنشئت القشلاقات داخل الطوابى . فمن ذلك قشلاق فى طـابيـة الأداء (الأطة) لاقامـة خمسمائة عسكرى . وقشلاق فى قلعـة أم قبية كذلك . وقشـلاق فوق باب الصورى المعروف بباب محرم بك لاقامة أورطة من العساكر .

ولما أنشئت سكة الحديد الواصلة إلى الرمل (١) مرت فى وسط القشلاق فقسمته نصفين . والآن به عساكر محافظة الضبطية . وبنى الاسبتالية الملكية فى حوش مقابر اليهود بجوار المسلة المعروفة بمسلة كليوبطرة ووفاها جميع لوازمها من مفروشات وملبوسات وأدوية وآلات وجعل بها اجزخانة وبيتا لتركيب الأدوية ونوع محلاتها بحسب أنواع الأمراض والعلل . ورتب لها حكماء وجراحجية فجاءت من أحسن الاسبتاليات وحصل بها النفع العام وصار يدخلها الأهالى والغرباء للتداوى بدون مقابل واستمرت على ذلك حتى هدمتها سكة حديد الرمل أيضا . والآن عمل من فيض المكارم الخديوية اسبتالية عوضاً عنها فى محل قريب منها . ولأجل الوقوف على ما اشتملت عليه الاراضى المجاورة لثغر الاسكندرية أمر باستكشاف ما حوله حيث كان لذلك دخل فى المحافظة فكشف سواحل البحر من الاسكندرية الى العريش — إلى أن قال — واهتم أيضا بكشف الصهاريج التى بداخل الاسكندرية وخارجها وما تشتمل عليه وقدر ما تسع من الماء والمجارى التى توصل الماء اليها وصار التنبيه على أصحاب الاملاك ألا يتلفوا شيئا من ذلك ولا يتصرفوا فيه وجعل لذلك قوانين معمولا بها الى الآن وكانت قد بطلت مدة فنشأ عن بطلانها تصرف أصحاب الأملاك فى كثير منها بالنقض والهدم . وحيث كان الماء من أهم لوازم الميناء ولا يستغنى عنه زمنا ما

(١) هذا خطأ ظاهر ولعل صحة الكلام سكة حديد الخط الطولى الموصل الى القاهرة .

لا سيما لو فرض حصول محاصرة تقطع ماء المحمودية عن الثغر صدرت أوامره السنية بعدم التعرض للصهاريج بوجه ما والرجـــوع الى تلك القوانين فامتنع الناس من هدمها ولا يخفى أهمية ذلك فان تلك الصهاريج مبنية من قرون عديدة ولا شك أنها صرفت فيها أمـــوال جسيمة وهى من الآثار القديمة التى نوه التاريخ بقدرها وأهميتها بالنسبة لهـذه المدينة لبعدها عن النيل. والماء الواصل اليها من الخليج يمر فى وسط بحائر ملحة ومنحطة وفى أى وقت يمكن صرفه الى البرارى أو البحر وحرمان المدينة منه فيقع أهلها فى الضرر وتفارقها العمارية مع أنها مفتاح القطر فلم يكن أهم مما يوصل الى عماريتها وراحة أهلها . ومن ذلك كشف المسالك الموصلة اليها ومعرفة ما اشتملت عليه تلك الطرق مما هو من لوازم الحياة كالمياه العذبة والمراعي وحطب الوقود وجلب الميرة ومنع الأعداء. فكل ذلك معرفته مهمة فى وقت السلم لينتفع به عند حصول ضده . فهذا هو ملحظه رحمه الله وملحظ المؤسس الأصـــلى وملحظ سر عسكر (ابراهيم باشا) جزاهم الله عن الوطن خيرا . ومن هـــذا الاستكشاف ظهرت ثمرات جمة منها عمل ســـكة عسكرية من طابية القبارى الى باب العرب لتسهيل مرور العساكر والواردين على المدينة من جهة الغرب ووادى سيوة وكانوا قبل ذلك يقاسون مشقات زائدة لعدم انتظام المسالك — إلى أن قال — وقد رسم ذلك كله فى خرط الاستحكامات حتى لا تتطرق اليه شبهة فيما بعد — إلى أن قال — ولما كثرت الافرنج والأغراب فى مـــدينة الاسكندرية واستوطنوها

واستحوذوا على كثير من الفضاء الذى كان بداخل المدينة وضواحيها رغبوا فى سكنى الرمل وهى قرية شرقى المـــدينة بينها وبين أبى قير وأكثروا من شراء الأملاك فى هذا المحل لقلة ثمن الارض هناك إذ ذاك فتيقظت الحكومة لذلك لما لتلك الجهـــات من الأهمية لوقوعها فى المناطق العســـكرية الممنوع البناء فيها فأمرت بضبط ما بيع من هذه الأراضى وبيان ما بنى وما لم يبن منها ومنعت التصرف فى أراضى الرمل وغيرها إلا باذن من الحكومة وجعلت لذلك قوانين تتبع فى هـذه الأمور . وبسبب قرب الرمل من المدينة واتساعه وطيب هوائه رغب المرحوم فى اتخاذه معسكرا تجتمع فيه العساكر فى المناورات وغيرها وأمر بردم الملاحة المجاورة لقرية الرمل (مـــلاحة سيدى جابر — أرض سموحة الآن) لمنع العفونة وعمل لذلك رسوم وميزانيات ولكن بموته لم يتم ذلك . اه

٧ — فى حـــكم سعيد باشـــا

الظاهر أن تحصين مدينة الاسكندرية فى حكم سعيد باشا بقى على ما كان عليه فى حكم سلفه عباس الأول .

٨ — فى حكم الخـــديو اسماعيل

عزز الخديو اسماعيل حصـــون هذه المدينة بمدافع أحدث طرازا من التى كانت بها حتى يجـــارى بذلك روح العصر الذى كان

فيه لأن مـدافع عصر محمـد على لم يكن بينهـا النوع المعروف بالششخانة الذى تحقق تفوقه على النوع القـديم . فكان من اللازم التفكير فى تسليح هـذه الحصون بهذا النوع مادام القصد من هـذا التسليح ضمان سلامتها من غارة أجنبية .

لذلك ابتـاع الخـديو اسماعيل من انجلترا فيما بين سنـة ١٨٦٩ و سنة ١٨٧٣ م ٢٠٠ مـدفع من طـراز أرمسترونج عيار ٧ بوصـات ووزن ٧ أطنـان وعيار ٨ بوصات ووزن ٩ أطنـان وعيـار ٩ بوصات ووزن ١٢ طناً وعيـار ١٠ بوصـات ووزن ١٨ طنـاً وهذه المـدافع تعمر من الأمام . وابتـاع أيضاً أربعة مـدافع عيار ٤٠ رطلا من الطراز عينه ولـكنها تعمر من الخلف . ونصب من هـذه المدافع فى حصـون مدينة الاسكندرية الأربعة المـدافع الأخيرة و ٤٦ مـدفعا من المـدافع الأولى . والبـاقى من المائتى مدفع نصبه فى بقية حصـون سواحل مصر حتى بور سعيد .

ووقت تركيب هذه المـدافع الحديثة نزع بعض المـدافع القـديمة وكانت التى نزعت بالضرورة غـير صالحة للاستعمال ولـكن قـواعدها استخدمت مـداور للمدافع الحديثة .

موازنة بين هذه الحصون
والأسطـــول البريطـــانى

الحصون

إن ســـاحل مدينـــة الاسكندرية سهـــل منبسط ليس به هضـــاب ولا جبال اللهم إلا بعض التـــلول المصنوعة . وهو لهـــذا السبب الطبيعى لا يصلـــح لاقامة حصون عليه تدفع عن هذه المـــدينة شر القنابل الحـــديثة سواء التى اخترعت فى أيامنا هذه والتى كانت فى سنة ١٨٨٢ م وقت أن ضربها الأسطـــول الانكليزى الذى كان مزوداً بمـــدافع أقوى من مدافع هذه الحصون .

وكان حصـــن أم قبية هـــو الحصن الوحيد المقـــام على تل مرتفع عن الأرض . وكانت حصـــون الاســـكندرية فى سنة ١٨٨٢ م هى ذات الحصون التى كانت فى عهد محمـــد على مع فـــرق بسيط . وهو أنه لما سلحها الخـــديو اسماعيل بمـــدافع من طراز أرمسترونج رفع ستـــائرها وزاد فى سمكها وفتح فيها كوات جديدة تتناســـب مع هذا التسليح الجـــديد . ولكن كل المـــدافع كانت منصوبة فى العـــراء بدون أن يعـــلوها أية وقاية تقى العساكر الذين يطلقـــونها . وقد يجـــوز أن يكون نصبها بهـــذه الكيفية أخف ضررا لو كانت هذه الحصـــون شيدت فـــوق مرتفعـــات لأن

علوها حينئذ بالنسبة للضلع التى تضطر السفن الحربية أن تصوب منها مدافعها يمكن أن يتخذ وقاية كافيـــة لحماية جنـودها من أذى القنـابل . ولـكن نظـــراً لأن كل هذه الحصـــون تقريباً كانت قائمة على أرض منخفضـــة نشأ من ذلك أضرار بالغـــة لرجال مدفعيتهـا الذين كانوا عرضـــة لنار مدافع السفن وبالأخص لمــــدافع السربند المنصوبة على الســـوارى والتى بواسطتها فى هـــذه الحـالة يمــكن إســـكات مدافع هذه الحصون بقتل جنـــودها وبغـــير حاجة الى اتلاف هـــذه المدافع .

والحصن الوحيـــد الذى يمكن استثنـاؤه من هـــذه الحالة هو حصن قايتبـــاى الذى كان فى طبقته السفلى المسقوفة مـــدفعية مستـــورة بطبقته العليا . ولكن حيطـــانه لم تـــكن من المتـــانة بحالة تستطيع معهـــا الاستهداف لمدافع هـــذا الأسطـول . فقتلت وجرحت الشظايا التى كانت تتطـــاير منها كثيرا من الجنـــود فضلا عما أحـــدثته من الضحايا والتلف للأهالى والمســـاكن حتى لقـــد قال القـــائد جودريتش Goodrich أحـــد قـــواد امريـــكا الحـــربيين فى تقـــريره ص ٤٨ إن هـــذه الحرب لم تكن إلا دهليزا إلى مهاوى الموت السحيقة .

وقـــد كان هـــذا القائد على ظهـــر السفينة الحربيـــة لانكاستر Lancaster وقت ضرب الاســـكندرية وشاهد هـذه الموقعة

وعاين هذه الحصـــون بنفسه بعد الضرب وتتبع خطـــوات الجيش الانـــكليزى فى جميع حركاته العسكرية من أولهـــا الى ما بعد واقعة التل الـــكبير . وقدم تقريراً مفصـــلا لحكومته بكل ما عاينـــه ورآه . ومن هـــذا التقرير استقيت معظم معـــلوماتى .

وكان فى كل الحصـــون بدون استثناء مبان عـــديدة مرتفعة عن ستائرها مثل مستودعات القنابل والثكنات (القشلاقات) والمخازن . وكانت هـــذه المبانى المرتفعـــة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتـــكون هـــدفاً عجيبا لا تخطئه نيران مـــدافع الأسطول . وكانت مستودعات البارود على الأخص غـــير مصونة الصيانة الكافية . ويؤيـد ذلك انفجار مستـــودعي البارود فى طابيتى الأطـــة والدخيـــلة . ومن العجـــائب أن مستـودعى البارود فى كلتـــا الطابيتين هما وحـــدهما اللذان أصيبا فانفجرا وتمزقا شر ممزق دون غيرهما من المبانى التى فيهما . والقنـــابل لم تـــكن على وجه العموم معبأة من قبـل فى مدافع هذه الحصون بل كانت تعبأ فى خـــلال المعـــارك .

هـــذه هى الحالة التى كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية فى سنة ١٨٨٢ م وقتما ضربها الأسطـــول الانـــكليزى . أما من حيث تسليح الحصون التى كانت فى ساحل المـــدينة وكانت معرضـــة لمدافع الأسطـــول فكان كالآتى :—

الحصون	مدافع ارمسترونج ششخانة — تعمر من الامام — عيار بوصه ٧	بوصه ٨	بوصه ٩	بوصه ١٠	تعمر من الخلف — عيار رطلا ٤٠	جملتها	مدافع غير ششخانة	اهوان	الجملة العمومية
طابية السلسلة	-	١	١	-	-	٢	٢	١	٥
قلعة قايتباى	-	٢	٣	١	٢	٨	٣٨	٤	٥٠
طابية الهلالية	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
« الأطة	-	١	٣	١	-	٥	١٤	٥	٢٤
« الاسبتالية	٢	-	-	-	-	٢	١٠	٥	١٧
« رأس التين	-	٢	٢	١	١	٦	٢١	٥	٣٢
« الفنار	-	١	٤	١	-	٦	٢٨	٣	٣٧
« صالح أغا	-	-	-	-	-	-	٢١	١	٢٢
« برج رقم ١٥	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
« أم قبيبة	-	٢	-	-	-	٢	١٦	٣	٢١
« القمرية	-	-	-	-	-	-	٥	-	٥
« المكس	-	٣	١	١	١	٦	٣٦	١٠	٥٢
« الدخيلة	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
« العجمى	١	-	٥	٣	-	٩	-	-	٩
« المرابط	-	-	٣	-	-	٣	٢٦	٣	٣٢
الجملة	٣	١٢	٢٢	٨	٤	٤٩	٢٢٩	٤٠	٣١٨

وعدا المدافع السالف بيانها نقـــل اثنا عشر مدفعا من طراز ارمسترونج الذى يعمر من الأمام (ششخانة) الى الحصون الآتية : ـ

مدفعان عيار ٩ بوصـــات ومدفعان عيار ١٠ بوصات الى طابية المكس .

وثلاثة مدافع عيار ٩ بوصات الى طابية الدخيلة .

ومدفعان عيـــار ٧ بوصـــات ومدفعان عيـــار ٨ بوصات ومدفع عيار ١٠ بوصات إلى حصن المرابط .

ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها فى هـــذه الحصون ولا أمكن استعمالها فى ضرب الأســـطول الانكليزى .

ويجب حذف المدافع التى من غـــير نوع الششخانة وكذلك الأهوان من قائمة المدافع المذكورة قبل لأنها لم يكن لها فى الواقع أية قيمة حربية فى زمن ضرب مدينـــة الاسكندرية إذ كانت قطعا عتيقة يرجع تاريخها إلى عهد محمد على وكان مرماهـــا قصيرا وليس لمقذوفاتها القوة اللازمة لاختراق مدرعات الأسطول البريطانى لأن القنبلة بعد أن تجتاز المسافة التى تحتفظ فيها بسرعتها تستمر فى السير ولكن مع ضعف فى هذه السرعة . فاذا وصلت إلى الهدف عند ضعف سرعتها لاتحدث ضررا يذكر لخصم قوى فى منزلة هذه المدرعات .

ولا يمكننى أن أقدم برهانا على صحـــة ماذكرت أسطع مماوقع لسفينة القيادة فى هـــذا الأسطول (الكسندرا Alexandra) .

فقد أصيبت هذه السفينة بستين قنبلة فكانت نتيجة هــذه الأصابات قتل جندى واحد وجرح ثلاثة . فلو أن هذه القنابل الستين كان لها تأثير حقيق لأغرقتها.

ومن ناحية أخرى كانت عجلات هــذه المدافع فى حالة سيئة فبعضها تحطم عند انطلاق المدافع وبعضها انقلبت من فوقها المدافع عند رجوعها على أثر انطلاقها .

ويجب أيضا حذف المدافع الأربعة التى من طراز ارمسترونج وتعمر من الخلف لأن عيارها صغير جدا بحيث لاتستطيع أن تعمل عملا جديا ضد هذه المدرعات .

الأسطــــول

كان الأسطول الانجليزى الذى ضرب مدينة الاسكندرية بقيادة الأميرال سيمور Seymour مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة هى : الكسندرا Alexandra وهى سفينة الأميرال . والانفلكسيبل Inflexible . والسلطان Sultan . والسوبرب Superb . والتمــرير Témeraire . والانفنسيبل Invincible . ومونارك Monarch . وبنلوپ Penelope . وخمس سفن صغيرة (مدفعيات) وهى : بترن Bittern . وكندور Condor . وبيكن Beacon . وسينت Cygnet . ودكوى Decoy .

وسأحذف عند ذكر مدافع هذا الأسطول المدافع التي عيارها

يقل عن عيـــار مدافع الحصون وكذلك مدافع السفن الصغيرة (المدفعيـــات) . وذلك فى مقابل المدافـع العتيقـــة والأهـــوان التى حذفتهـا من الحصـــون . وهذا الحـــذف فى صالح الاسطول على ما أرى .

وقـــد كانت كافة المدافع المسلح بها هذا الاسطول من طراز ارمسترونج وتعمر من فوهاتها مثـــل مـــدافع الحصون التى من نوعها (الششخانة) . وهاك تقسيمها على مختلف المدرعات المذكورة :—

المدرعات	المـــــــــدافع						الجملة
	العيـــــــــار						
	بوصه ٧	بوصه ٨	بوصه ٩	بوصه ١٠	بوصه ١٢	بوصه ١٦	مدافع
الكسندرا	-	-	-	١٠	٢	-	١٢
انفلكسيبل	-	-	-	-	-	٤	٤
سلطان	-	-	٤	٨	-	-	١٢
سوبرب	-	-	-	١٦	-	-	١٦
تمـــرير	-	-	-	٤	٤	-	٨
انفنسيبل	-	-	١٠	-	-	-	١٠
مـــونارك	١	-	٢	-	٤	-	٧
بنـلوب	-	٨	-	-	-	-	٨
الجمـــلة	١	٨	١٦	٣٨	١٠	٤	٧٧

وكان وزن المدافع عيار ١٦ بوصة ٨٠ طنا وتقـــذف قنابل وزن الواحدة منها ١٧٠٠ رطل (٦١٢ أقة أو ٧٦٥ كيلو جرام).

المـــوازنة بين الســـلاحين

والآن أباشر معـالجة الموازنة بين سلاح الحصـــون وسـلاح الأسطـــول لأبين تفوق الثانى التفـــوق العظيم على الأول بالعيـار وبالوزن فأقول :—

لقد كانت مدافع الحصون ذات العيـــار الواسع حسب القائمـة التى سبق تدوينها كما يأتى :—

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالأطنان
٣	٧	٧	٢١	٢١
١٢	٨	٩	٩٦	١٠٨
٢٢	٩	١٢	١٩٨	١٠٨
٨	١٠	١٨	٨٠	١٤٤
٤٥			٣٩٥	٣٨١

أما مدافع الأسطول فكانت كما ذكر آنفا كالآتى :ـ

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالأطنان
١	٧	٧	٧	٧
٨	٨	٩	٦٤	٧٢
١٦	٩	١٢	١٤٤	١٩٢
٣٨	١٠	١٨	٣٨٠	٦٨٤
١٠	١٢	٢٥	١٢٠	٢٥٠
٤	١٦	٨٠	٦٤	٣٢٠
٧٧			٧٧٩	١٥٢٥

فالأسطول كان يمتاز امتيازا كبيرا على الحصون كما يعلم من المقارنة بين هذه الأرقام . ويكون هذا الامتياز أشد ظهورا لو نظرنا بعين الاعتبار إلى حالة طابيتى السلسلة والعجمى . فحصن العجمى لم يكن قد تم إنشاؤه فلم يشترك فى القتال . وكذلك لم تشترك فيه مدافع الحصون الأخرى التى لم تكن منصوبة فى اتجاه الاسطول . وهذا الامتياز يتعاظم ويزداد ظهورا بسبب سرعة تحريك الاسطول واستطاعته أن يحشد بوارجه ويصوب جميع نيرانها على حصن واحد فيقوضه ويدمره بدون أن يستطيع حصن آخر أن ينجده . وهكذا يهاجم الأسطول حصنا بعد آخر فيصيبها التلف جميعا . وهذا ماحدث فعلا

وهذه هى الحركات البحرية الحربية التى نوعاها هذا الأسطول فى ذلك اليوم الأنكد المشئوم .

وكانت حامية الحصـــون مؤلفة من ١ جى طوبجية سواحل ومجموع قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضـــابط وجنديا . وهذا الآلاى هو الذى كان فى ذلك اليوم الرهيب مع عيوب هـذه الحصون ونقصها والتفاوت بين القوتين المتحاربتين وضآلة معـــداته يدافع بروحه ودمه عن شرف الجيش والعلم المصرى بشجـاعة تعلى قدره وترفع رأسه . فحيا الله أولئك الأبطال الذين راحوا ضحية الدفاع عن الأوطان وتغمدهم بواسع رحمته ورضوانه .

الحوادث التى سبقت الضرب

شرع الأميرال سيمور من أول يوليه سنة ١٨٨٢م ينتحل سببا من الأسباب مقبولا أو غير مقبول معقولا أو غير معقول ليتذرع به إلى فتح باب الشر والعدوان حتى يحقق مطامع دولته فى مصر تلك المطامع التى كانت تعمل لها انجلترا منذ زمن بعيد .

ويقال أيضا إن هـــذا الأميرال كان لديه سبب شخصى يدفعه إلى الاسراع فى مباشرة الأعمال الحربية على قدر مايستطيع . ذلك أن أسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالاقلاع إلى البحـر الابيض المتوسط لينضم إلى اسطول الأميرال سيمور ويعـــاونه فى ضرب قلاع الاسكندرية . وقـــد كان الاميرال دويل Dowell قائد اسطول

بحر المانش أرق منصبا من الاميرال سيمور فاذا انضم اليه بأسطوله كانت له الرياسة قطعا وآل إليه دون سيمور شرف الانتصار إذا أحرزه فى ذلك اليوم .

هذا هو السبب فى تعجل الأميرال سيمور وخلقه للأسباب ولو لم يكن لها وجود .

وانى أسوق هنـا بعض المكاتبات الرسميـة التى دونتها الحكومة الانكليزية فى الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م وهى :

(١)

برقية من الأميرال سيمور إلى مجلس الأميرالية البريطانية

الاسكندرية فى أول يوليه سنة ١٨٨٢ الساعة ٧½ صباحا

لقد شوهدت مراكب مشحونة بالمواد المفرقعة على مسافة قليلة من الجسر (قناة السويس) وفى هذا الموضع معسكر كبير من البدو . ومعسكر الزقازيق تلقى أوامر بحشد ٣٠ ألف رجل مزودين بالفؤوس والزنابيل (يعنى أن النية معقودة على سد قناة السويس) . وتلقت الأهالى تعليمات أن يتزودوا بالأسلحة . وفى الاسكندرية وحصونها مايربو على عشرة آلاف جندى . والأمداد والعساكر الاحتيـاطية ترد إليها بلا انقطاع . ويقول عرابى إن النبى يزوره كل ليلة ويأمل أن تقع الأساطيل المتحـدة فى فخ ينصبه ذلك أن يغرق مراكب محملـة بالاحجار فى البوغاز . ؟

(٢)

برقيـة من مستر كارترايت Cartwright قنصل جـنرال انجلترا إلى لورد جرانفيل وزير خارجيتها

الاسكندرية فى ٢ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخبـاركم أن مجلس النظار قرر فى جلسته التى عقـدها أمس أنه نظرا لما شوهد من اتخـــاذ بعض استعدادات فى البوارج الحربية أضحى من الواجب رفع عريضـــة إلى السلطان يلتمس فيها الترخيص بتعمير الحصون التى كان أوقف العمل فيها بأمر شاهانى ؟

(٣)

برقية من مجلس الأميرالية الانكليزية للأميرال سيمور

الأميرالية فى ٣ يوليه سنة ١٨٨٢

امنعوا كل محاولة يراد بها غلق مدخل البوغاز الموصل للميناء . وإذا بوشر إعادة العمل فى الحصون أو نصبت فيهـــا مدافع جديدة فأخبروا قائدها الحربى بأن لديكم أوامر بالحيلولة دون ذلك . وإذا لم يوقف العمل فى الحال فدمروا الحصون وأسكتوا مدافعهـا إذا أطلقت النيران . وهذا بعد أن تعطوا الأهـــالى والسفن التجارية والحـــربية الأجنبية المهلة الـكافية ؟

(٤)

برقية من الأميرال سيمور إلى مجلس الأميرالية البريطانية
الاسكندرية فى ٤ يوليه سنة ١٨٨٢

نصب مدفعان جديدان فى قصر فاروس (قلعة قايتباى) فى الليلة الماضية . وقوى حائطه المواجه للبحر أيضا . ويفضل القنصل الجنرال أن أؤجل توجيه الانذار إلى صباح يوم الخميس لكى يجد الأوربيون فرصة للهجرة من القاهرة . ولم يحدث أى تغيير فى الوجهات المشرفة على البحر . وطلب الاميرال الفرنسى استعلامات فوردت له الاجابة من القائد الحربى ومن عرابى اللذين أرسلا الأميرال المصرى ليؤكد أنه ليس هنالك فكرة بعمل سد ما فى مدخل البوغاز ؟

* * *

وفى ٥ يوليه سنة ١٨٨٢ أخبر مسيو فريسينيه Freycinet رئيس مجلس وزراء فرنسا لورد ليونز Lyons سفير انجلترا فى باريس وهذا بدوره بلغ لورد جرانفيل Granville أنه ورد إليه فى الصباح برقية من الأميرال كونراد Conrad قائد الأسطول الفرنسى بالاسكندرية عن التعليمات التى تلقاها الاميرال سيمور من أجل النيات التى نسبت للحكومة المصرية وقيل عنها انها موجهة ضد الأسطولين الفرنسى والانجليزى . ثم قال الوزير الفرنسى للسفير الانكليزى إنه جمع مجلس الوزراء لبحث المسألة فقرر أن الحكومة الفرنسية لاتستطيع أن تعطى تعليمات للاميرال كونراد أن يكون مع الأميرال

سيمور وأن يمنع بالقوة بنـاء الحصون أو نصب المدافع فى ميناء الاسكندرية .

واستطرد مسيو فريسينيه فقـال إن الحكومة الفرنسية تعد التصرف بهذه الكيفية عملا عدائيا هجوميا ضـد مصر والاشتراك فيه لايمكن أن يكون بدون اخلال بنص الدستور الذى يحظر الدخـول فى حرب بدون موافقة مجلسى النواب والشيوخ . وإنه بناء على ذلك قد أرسـل إلى الأميرال كونراد تعليمات تقضى عليه بألا ينضم إلى الأميرال سيمور إذا وجه هذا انذارا نهائيا للمصريين يختص بتحصيناتهم وأن يتراجع إذا صمم الأميرال سيمور على اطلاق المدافع . اھ

* * *

وبذلك أصبحت انجلترا مطلقة اليدين وحـدها أمام مصر . وهـذا الموقف هو الذى كانت تتوق إليه انجلـترا لتنفيذ مقاصدها والحصول على بغيتها التى طالما تمنتها من أزمان بعيدة وقد مهد المصريون لها مع الأسف طريق الوصول إلى أمنيتها هـذه بخرقهم ونزقهم وسوء تصرفهم .

(٥)

برقية من مستر كارترايت إلى لورد جرانفيل

الاسكندرية فى ٥ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخبار سعادتكم أن وكيل نظارة البحرية (المصرية)

توجـــه أمس بعد الظهر للأمـــيرال سير بوشامب سيمـــور Beauchamp Seymour وقدم له تقريراً مطمئنا من جهـــة وضع العوائق فى مدخل ميناء الاسكندرية وبعد ذلك بقليـــل تلقى الأميرال إجابة بالكتابة من قومندان الحامية وفيما يلى نصها :

« تلقى الخديو صباح اليوم رسالة برقيـة من السلطان تعلنه بأنه هو ووزراءه مسئولون إذا لم توقف الأعمال فى الحصون لأن أعمـالا كهذه تدعو الأسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية . وسيجتمع مجلس الوزراء فى هذا الصباح لابلاغه هذا الأمر العالى للعمل بمقتضاه » .

(٦)

برقية من الأميرال سيمور إلى الأميرالية البريطانية

الاسكندرية فى ٦ يوليه سنة ١٨٨٢

لقد أكد لى القائد العسكرى ردا على مذكرتى المؤرخـة بتاريخ اليوم بأنه لم يوضع أى مدفـع جديد فى الحصون ولم ينجز عمـل ما . وصادق درويش باشا على صحة هذا التصريح . ولم تحدث أية إشـارة تدل على القيام بأعمال جديدة من بعد ظهر أمس . ويجوز أن ذلك إنما كان امتثالا لأمر السلطان . وانى لا أتردد فى الضرب إذا واصـــلوا هذه الأعمـــال . وقد تلقى الأميرال الفرنسى الأوامر بالتراجع هو وبوارجه إذا بدىء بالعدوان ؟

وفى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ وجه قناصل الدول الكبرى الجنرالية بالاسكندرية إلى الأميرال سيمور المذكرة الاجماعية الآتية :—

(٧)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢

إن وفرة مصالح رعايانا الكثيرى العدد بالاسكندرية الآن والذين لهم أملاك جسيمة جداً تضطرنا أن نستعلم من جنابكم عما إذا كنتم تعتبرون إجابة الحكومة المصرية الخاصة بالتحصينات مرضية .

ونحن نرى أنه فى مقدورنا أن نحصل على تأكيدات منها ترضيكم الرضاء التام إذا كان لم يزل يتراءى لكم أن الأجابة المذكورة غير وافية . وستصيروننا شاكرين غاية الشكر إذا عرفتمونا أن هذه المسألة قد سويت وانتهت . أما إذا كان الأمر على نقيض ذلك فأفيدونا عمن نعتمد عليه فى ترحيل رعايانا . وعلى أى حال لايمكن أن يتم ضرب الاسكندرية بدون أن يجر أخطارا جمة على المسيحيين والأهالى معا ولا بدون تدمير مالا يحصى من أملاك الأوروبيين . وسنتقبل بمزيد السرور تكرمكم برفع هذه الملاحظة إلى حكومتكم قبل أن تنفذوا أوامرها التى صدرت بشأن هذه المسألة .

الامضاءات

دى فورجس . بارون سورما . دى مارتينو

دى لكس . بارون كسجك

وفى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ أجاب الأميرال سيمور على هـــذه المذكرة الاجماعية بالخطاب الآتى :—

(٨)

من ظهر المدرعة انفنسيبل باسكندرية ٨٢/٧/٧

سادتى .

اتشرف باخبـــاركم بوصـول مذكرتكم الاجمـــاعية التي بعثتم بها الىّ اليوم تسألوننى فيها عما إذا كنت مرتاحا من اجابة القـائد العسـكرى على خطابى الذى أرسلته اليه أمس . وانى أشكركم كثيرا على ما عرضتموه علىّ من الحصـول من القائد العســكرى على اجابة مرضية اذا كنت أرغب فى تأكيدات منه أوفى من الأولى كما أرجو أن تتقبلوا وافر شكرى على الاقتراح الذى تلطفتم بتقديمه الىّ .

فاذا كان نفـوذكم لدى القائد العســكرى يمكن أن يحمله على التصرف باخلاص ويحـول دون استمراره فى أعمـال التحصينات فانكم بذلك تصيبون الهدف المقصود . لأن التأكيدات المكتوبة مهما تكن عباراتها ، قليلة القيمة بالنسبة للمصالح التى اؤتمنت عليها .

ويلزمنى أن ابين لـكم أنى لا أنوى ولا قلت مطلقا انى أقصـد أن أضرب مدينة الاسكندرية فان أعمالى الحــربية إذا أمست ضرورية فستوجه الى الحصون ولا أرى سببا للخــوف من وقوع تلف يصيب الأمــلاك الخصوصية التى أنتم من أجلها فى وجل . وسأبلغ حكومة جلالة الملكة الملاحظة التى لفتم نظرى اليها فى الفقرة الأخيرة

من خطابكم . ويجب أن أحرص مع التدقيق على نص بلاغى الذى أرسلته الى القائد الحربى حينما تحدث أدنى محاولة يقصد بها العودة إلى أعمال دفاعية .

وعلى أى حال فسيعطى انذار نهائى مدته ٢٤ ساعة فقط . واتشرف الخ .؟ الامضاء

بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القيادة

* * *

ويرى من مذكرة القناصل الجنرالية السالفة أنهم بذلوا كل جهودهم فى سبيل تجنب وقوع الحرب وهذا أمر يستوجب لهم الشكر كما يرى أيضا من إجابة الأميرال التصلب ليسد الباب أمام كل تسوية يمكن الاهتداء اليها . لأنه فى اليوم نفسه أرسل بلاغا إلى القائد الحربى هذه صورته :-

(٩)

من ظهر البارجة انفنسيل فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

أتشرف باخباركم انى علمت من طريق رسمى أن مدفعين جديدين نصبا أمس فى خطوط الدفاع المشرفة على البحر وأن بعض استعدادات حربية على وشك النجاز فى واجهة الاسكندرية الشمالية الغرض منها تهديد الاسطول الذى تحت قيادتى . فيجب علىّ والحالة هذه أن اعلنكم انكم ان لم تأمروا بالاقلاع عن هذه الأعمال

أو تكونوا قد أمرتم بالاقلاع عنها يكن من واجبي ضرب الحصون الجارى فيها البناء .

واتشرف بأن أكون الخ . ؟ الامضاء

بوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القيادة

وأرسل اللواء طلبة عصمت باشا القائد الحربى الاجابة الآتى نصها :ـ

(١٠)

الاسكندرية فى ٢٠ شعبان سنة ١٢٩٩ ـ ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م :ـ

عزيزى الاميرال الانجليزى .

أتشرف بأن انبئكم بوصول خطابكم المؤرخ يوم ٦ يوليه الذى تذكرون فيه انه اتصل بكم تركيب مدفعين وأن اعمالا أخرى على وشك أن تقام على شاطىء البحر . فردا على ذلك أريد أن أؤكد لكم أن الأخبار المذكورة عارية عن الصحة وأن هذه الأخبار مثل خبر التهديد بسد مدخل البوغاز الذى اتصل بكم وتحققتم كذبه .

هذا وأنى لواثق من شريف عواطفكم المتشبعة بروح الانسانية .

وأرجو قبول احتراماتى ؟ الامضاء

طلبة عصمت
قائد القوة

وأرسل الخديو توفيق إلى الباب العالى فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م البرقية الآتى نصها :ـ

(١١)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ .

من اليوم الذى انقطعت فيه الأعمال حسب أمر جلالة السلطان لم نقم بأى عمل إلى الآن . وقد أذيعت اشاعة مضمونها أن الحكومة تنوى سد مدخل ميناء الاسكندرية وانها تتخذ غير ذلك من التدابير الحربية . وقد توجه قنصلا انجلترا وفرنسا الى راغب باشا للوقوف على الحالة منه فأكد لهما أن هذه اشاعات ليس لها أدنى نصيب من الصحة وان فكرة هذه التدابير لم تخطر بالبال . وبما أن ميناء الاسكندرية مزدحمة بالبوارج الحربية فهذه الحالة تخول لكل بارجة من هذه البوارج حجز كل سفينة تحمل مدافع . وقد أخطر رئيس النظار ناظر البحرية بذلك، فخرج القنصلان راضيين من هذا البيان . وفى الوقت نفسه كتب الاميرال الى قائد الجنود بالاسكندرية خطابا صرح فيه بأنه مادامت النية معقودة على سد الميناء فيلزمه هو أيضا أن يتخذ احتياطات لوقاية نفسه . فأجابه القائد بأن هذا الخبر ليس له صحة . وذهب بعد ذلك ناظر البحرية وأكد للأميرال الانجليزى هذه التأكيدات فشكره ووعد أن يخبر بذلك حكومته ؟ الامضاء

محمد توفيق

* * *

ولكن كل هذه التصريحات السلبية المطمئنة لم تكف الأميرال سيمور وصمم تصميما نهائيا على ضرب قلاع المدينة بقنابل اسطوله متذرعا بالأسباب التى سبق ذكرها وأرسل البرقية الآتية :ـ

(١٢)

برقية من الأميرال سيمور الى الاميرالية الانجليزية .
الاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

ايماء الى برقيتى المؤرخـــة فى يوم ٤ يوليه سنة ١٨٨٢ أقول انه ليس هنالك أدنى ريب فيما يتعلق بالتسليح . وانى سأخطر قناصل الدول الاجنبية غدا عند شروق الشمس واشرع فى الضرب بعد ٢٤ ساعة ان لم تسلم الىّ الحصون القائمة على البوغاز والتى تشرف على مدخل الميناء ؟

* * *

وعزز مستر كارترايت هذه البرقية بالبرقية الآتية :ـ

(١٣)

برقية من مستر كارترايت الى وزير الخارجية البريطانية .
من ظهر البارجة هلكن Helicon بالاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

اتشرف باخباركم انه اتصل بالامـــيرال سير بوشامب سيمور ان مدفعـــين جديدين نصبا صباح اليوم بحصن السلسلة القائم تجاه الميناء الجديدة .

ولا يستطيع الأميرال أن يلازم الصمت حيـــال هـذا العمل العدائى فقرر أن يطلق النار عند شروق شمس يوم الثلاثاء ١١ الجارى .

ولقد أخطرت فى هـذا المساء القنـــاصل الجنرالية والخديو

ودرويش باشا . وسأعمل الترتيبات الـــلازمة لترحيل جميع الرعايا البريطانيين على البواخر فى هذا المساء أو غدا صباحا ؟

* * *

ويؤخذ من شهادة الضابط الذى نقل الخبر الى الأميرال أن المدفعين المذكورين كانا من الطراز القديم أى انهما لم يكونا من نوع الششخانة بل كانا من المدافع الملساء التى ليس لقنابلها قوة لاصابة المرمى البعيد حتى تصيب هذه البوارج وتخترق دروعهـا فتحدث الضرر لهذه السفن . وحصن السلسلة هذا من ناحية أخرى واقع خارج منطقة القتال ولذلك فانه عندما حشدت سفن الأسطول عصر يوم الضرب لاطلاق قنابلها على حصن قايتباى لم تعر حصن السلسلة أدنى التفـــات مع انه صوب اليها بعض القنابل . فذعر الأميرال كان فى غير محله .

ويقول احمد شفيق باشـــا فى مذكراته ص ١٦٣ أن مستر كارترايت أشار على الخديو توفيق أن ينزل هـــو وأسرته إلى احدى البوارج الانجلـــيزية ليكون فى مأمن مما عساه أن يصيب سراى رأس التين لأنها عرضـــة لقذائف المدرعات فأبى . وهـــذه المشورة لم تدون فى الكتـاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م غير أنه يؤخذ من رسالة برقية مرسلة من مستر كارترايت الى لورد جرانفيل فى ٧ يوليـه سنة ١٨٨٢ م أن هذا الأمر حدث فعلا . واليك نص هذه الرسالة :ـ

(١٤)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ .

أتشرف باخبار سعادتكم أن سمو الخديو أرسل فى طلب سير

اوكلاند كلفن Auckland Colvin فى ضحوة هذا اليوم ليعرض عليه خطة السير التى ينوى سموه اتخاذها فى هذه الظروف .

فلقد نوى سموه فى الحالة التى يستقر فيها الرأى على الضرب أن يبقى فى الديار المصرية . وهو يقول فى تعليل ذلك انه لايستطيع أن يترك جميع أولئك الذين ظلوا فى معيته وأولوه فى غضون هذه الفتنة إخلاصهم ، كما أنه من جهة أخرى لايستطيع أن يهجر مصر إذا أغارت عليها دولة أجنبية إذ يقال حينئذ انه بارحها لينجو بنفسه . أما إذا احتلت الترك مصر وصادف هذا الاحتلال مقاومة فان سموه ودرويش باشا يعلمان الجيش عندئذ بأنهما بصفتهما من رعايا السلطان المخلصين لجلالته لايكونان قد أديا واجبهما إذا عضدا هذه المقاومة . وفى هذه الحالة ينطلقان بأحسن الوسائل الممكنة الى يخت درويش باشا .

وأعرب سموه عن نيته فى الانصراف هو ودرويش باشا الى أحد القصور القائمة على شاطىء المحمودية اذا كان الضرب من جانب الأسطول الانجليزى وانه بقدر الاسراع فى انجاز الضرب يقل الخطر الذى يحيق بشخص الخديو .

وكان سموه أثناء هذه المقابلة رابط الجأش يتكلم بصوت هادىء واختتم الحديث بتوجيه الرجاء الى سير أوكلاند أن يبلغ قراره هذا الى سعادتكم .

ولقد عقدت العزم على أن أخبر درويش باشا انه فى حالة حدوث ضرب تلقى حكومة صاحبة الجلالة البريطانية عليه مسئولية

سلامة الخديو الشخصية وأمنه .

ولى الشرف . الخ .. ؟ الامضـــاء
كارترايت

وفى اليوم التـالى ورد الى مستر كارترايت من لورد جرانفيـل الرد بالبرقية الآتية :-

(١٥)

وزارة الخارجية البريطانية فى ٨ يوليه سنة ١٨٨٢

تصادق حكومة صاحبة الجـــلالة البريطانية على البلاغ الذى أخبرتمونا عنه ببرقيتكم أمس التى ذكرتم فيها أنكم تنوون عنـدما تدعو الحالة لضرب الحصون أن تلقوا عـــلى عاتق درويش باشا مسئولية أمن الخديو وسلامته .

وانا لكم . الخ... الامضـــاء
جرانفيل

* * *

ومن المرجح أن المشورة التى عرضت على الخـــديو بضيافته على ظهر سفينة حربية انكلـــيزية كانت لغرض سياسى لالشىء آخر . لأن وجود حاكم البلد فى احـــدى سفنهم يجعل لضربهم صبغـــة شرعية كما حـــدث بعد ذلك فى حركاتهم العسكرية التي افضت الى احتلال البلاد .

وعلى كل حال فاجابة الخـــديو تشرفه ، ولكن مما يؤسف له أنه لم يتبع هذه الخطة معهم الى النهاية .

وأرسل مستر كارترايت الى قناصل الدول الجنرالية وفقا للبرقية التى بعث بها الى لورد جرانفيل المذكرة الآتية :ـ

(١٦)

الاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى

أتشرف باخباركم أنه من المرغوب فيه إعلان كافة الأشخاص التابعين لحكومتكم بأن يكونوا فى البواخر الراسية فى الميناء فى مدة ٢٤ ساعة تمر من تاريخ هذا الأعلان ؟

وكتب أيضاً مستر كارترايت الى درويش باشا الخطاب الآتى :ـــ

(١٧)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

الى صاحب السعادة

بناء على بلاغ الاميرال سير بوشامب سيمور الذى وجهه الى قائد الاسكندرية الحربى فى صباح هذا اليوم أرانى بصفتى وكيل وقنصل جنرال حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بالنيابة، مضطراً الى أن أخلى وكالة جلالتها بالاسكندرية وأن أقطع مؤقتاً العلائق التى كانت الى الآن بينى وبين نظارة الخارجية المصرية .

ثم أخبركم بأنى مكلف بأن أعلن سعادتكم بالضرورة الماسة لكفالة سلامة سمو الخديو فى كل الظروف ، وان حكومة جلالة الملكة تأمل من سعادتكم أن تشملوا وقاية سموه وأسرته بكل أنواع

الاحتياطات التى تستدعيها الأحوال باستعمال نفوذكم المستمد من نيابتكم عن جلالة السلطان . وانكم لتعلمون ان سموه لاينكص أمام الأخطار الجسيمة التى يعرضه لها موقفــه الحالى بسبب تحمله أوفر نصيب مما تفرضه عليه الواجبات . فحكومة صاحبة الجلالة البريطانية كلفتني أن أعلم دولتكم بأن عليكم — بحسب رأيها — مسئولية وقاية سموه من كل خطر ودرء الأخطار التى يمكن أن تحيط بسموه فى أثناء هذه الحوادث ؟

فأجابه درويش باشا بالجواب الآتى :—

(١٨)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

عزيزى نائب القنصل الجنرال

تسلمت خطابكم المؤرخ فى ١٠ الجارى الذى شرفتمونى بارساله إلىّ ويمكننى أن أؤكد لكم أنى بذلت كل جهدى فى القيام بالمهمة التي تفضل جلالة السلطان وعهد بها الىّ .

ولقد عز علىّ أن أدرك السبب الذى من أجله انساق الأسطول الانكليزى فجأة منذ أمس الى ابداء هذه النيات العدوانية بعد أن لبث مدة مديدة ملقياً مراسيه فى ميناء الاسكندرية لم يظهر فى خلالها إلا اميالا سلمية .

إن العلائق الودية بين السلطنة العثمانيــة وبريطانيا العظمى مازالت باقية . وحيث إن مصر هى إحدى ولايات السلطنة فكان

فى استطاعة جناب الأميرال أن يعرض أولا وجوه شكايته التى استوجبت التدابير التى اتخذها ، بطريقة ودية . وكان فى الامكان مراجعتها والنظر فى وسيلة لملافاة الشر . ومتى ظهر مرتكبو الأعمال التى أوجبت الشكوى يكن فى الاستطاعة إنزال العقاب بهم .

ويبدو لى اننا لو تصرفنا بهذه الطريقة لكان الأمر قد آل إلى توطيد العلائق الودية بين المملكتين عوضاً عن الانسياق فى تيار العدوان .

ولقد أتاحت الفرصة لسعادة راغب باشا ولوكيل نظارة البحرية ان يؤكد لكم وللأميرال أنه لم يخطر ببال الحكومة المصرية أن تعمل أى عمل يكدر صفو هذه العلائق الحسنة .

ومن المهم البحث عمن تقع عليه المسئولية اذا كان جواب تصريحات حكومة متشبعة بروح المحبة وحسن النية قد قدمت كل الوعود والتأكيدات الضرورية ، هو القيام بأعمال عدوانية لاتستند الى المبادىء التى تسود العلائق بين دولتين متحابتين .

أما التنبيه الذى وجهتموه الىّ أن أكفل بكل مالدى من الوسائل سلامة سمو الخديو فيجب علىّ أن ألفت أنظاركم الى أنه ليس من الصواب ايجاد تميز بين شخصية سمو الخديو توفيق باشا السامية وحكومته . وإنه لمن الطبيعى جدا ان سموه مازال يعني بسلامة وهناء البلاد التى يحكمها أكثر مما يعنى بسلامة شخصه .

وتفضلوا بقبول الخ...؟ مندوب جلالة السلطان

الامضاء

درويش

وأرسل الأميرال سيمور من جهة أخرى إلى قائد الاسكندرية الحربى الرسالة الآتية :—

(١٩)

من ظهر البارجة انفسيبل بالاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

اتشرف باخبار سعادتكم أنه نظراً لحدوث استعدادات حربية آخذة فى الازدياد منذ يوم أمس فى حصون السلسلة وفاروس (قايتباى) وصالح . وهذه الاستعدادات موجهة بالطبع الى الاسطول الذى تحت قيادتى، قد عقدت العزم على أن أنفذ غداً (١١ الجارى) عند شروق الشمس العمل الذى أعربت لكم عنه فى خطابى المؤرخ يوم ٦ الجارى إن لم تسلموا لى حالا قبل هذه الساعة البطاريات المنصوبة على برزخ رأس التين وعلى شط ميناء الاسكندرية الجنوبى لمنع التسلح بها .

ولى الشرف الخ... ؟ الامضاء

سيمور

ولكى يستطيع القـــارىء أن يتبين الخطر الطفيف الذى كان الأسطول الانـكليزى مستهدفاً له أورد هنا شهـــادة رجـل انـكليزى هو مســـتر رويل Royle الذى كان محاميـــاً بالاسكندرية ثم عين مستشاراً بمحكمة الاستئناف الأهليـــة . فقد ذكر فى مؤلفـــه ذى اجبشيـان كامبيـنز The Egyptian Campaigns ص ٦٣ هـــذا الانذار النهـــائى ثم قال : إن الخطـر الذى كانت تستهدف له بوارج الأميرال من جراء الاستعدادات المصرية لم يكن إلا خطراً وهميـــاً فى ذلك الوقت . ولو فرضنـا وكان خطراً حقيقيـــاً لـكان فى الامكان السلامة منـــه والبعـد عنه اذا غـير الأميرال موقف سفنـــه تغييراً طفيفاً .

وقد أمسى فى الوقت نفســـه تهـديده بضرب الحصون بعـد حوادث ١١ يونيـــه سنة ١٨٨٢ من بعض الوجوه ضروريا حتى لو لم يكن ذلك إلا لاعادة كرامـة الأوربيين . وفضـــلا عما ذكر فانه كان يمهد بهـذا الضرب أول خطوة فى سبيـل ملاشاة سطـوة عرابى وجيشه الذى كان محشوداً إلى حد كبير بالاسكندرية . اهـ

والقسم الأول من هـذا الـكلام يطابق الحقيقـــة . أما القسم الثانى فالغرض منه تلطيف هذا الفعل بادماج الـكرامة الاوربية فيـــه حتى كأن الدول الأخرى قد فوضت انجلترا فى القيـــام بهذا العمـل نيـابة عنهـــا .

وأرسل أيضـــاً مستر كارترايت إلى راغب باشا رئيس النظار

الخطاب التالى :ـ

(٢٠)

من ظهر البارجة تانجور Tanjore بالاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى الوزير .

بناء على البلاغ الذى قدمه الأميرال سير بوشامب سيمور فى هذا الصباح الى القائد الحربى بالاسكندرية ، أرانى مضطراً إلى أن أخلى قنصلية صاحبة الجلالة البريطانية وأن أقطع الآن العلائق التى كانت بين سعادتكم وبين شخصى بصفتى انتى وكيل وقنصل جنرال بالنيابة عن جلالتها فى مصر .

ولى الشرف الخ . . . ؟ الامضاء
كارترايت

* * *

ولما تلقى راغب باشا هذا البلاغ ولم يكن قد اطلع من قبل على الانذار النهائى طلب من مسيو دى مارتينو de Martino قنصل جنرال ايطاليا وأقدم السفراء أن يتكرم باستدعاء زملائه الفرنسى والألمانى والنمساوى والروسى على ظهر المدرعة الايطالية (كاستلفيداردو Castelfidardo) فى محل وجودها ليقوموا بمساع أخرى لدى الأميرال . وفعلا لبى القنصل الطلب واستدعاهم ولكنهم بعد أن اجتمعوا ظهر لهم أن الوقت قد فات .

ولما ذهب راغب باشا بصحبة عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وتجران بك سكرتير مجلس النظار وقابلوا مسيو دى مارتينو فى

نحو الساعة الحادية عشرة صباحا لم يستطع الا أن ينصح راغب باشا أن يسعى هو بنفسه لدى الأميرال فتوجه رئيس النظار ورفيقاه الى البارجة انفنسيبل وهناك تلقى الانذار النهائى . وبعد مناقشة طويلة قبل الأميرال تلطيفا فى شروطه لم يكن فى الحقيقة إلا تغييرا طفيفا وهو ينحصر فى انزال كافة المدافع التى فى الحصون المشرفة على البحر وأن يقوم بهذه العملية الجنود المصرية تحت اشراف ضباط من الانكليز وبارح راغب باشا ورفاقه سفينة الأميرال بعد أن وعد بارسال الاجابة فى المساء وتوجهوا فى الحال الى قصر رأس التين وعرضوا على الخديو ودرويش باشا نتيجة سعيهم . فطلب الخديو عقد جلسة غير عادية لفحص الموقف وتمحيصه حضرها (١) الخديو توفيق (٢) المشير درويش باشا (٣) قدرى بك سكرتير المشير (٤) السيد احمد أسعد عضو الوفد العثمانى (٥) اسماعيل باشا راغب رئيس النظار وناظر الخارجية (٦) احمد باشا راشد ناظر الداخلية (٧) عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية (٨) أحمد باشا عرابى ناظر الجهادية والبحرية (٩) على باشا ابراهيم ناظر الحقانية (١٠) سليمان باشا اباظه ناظر المعارف (١١) محمود باشا الفلكى ناظر الاشغال (١٢) حسن باشا الشريعى ناظر الأوقاف (١٣) لطيف باشا من نظار البحرية السابقين (١٤) حافظ باشا من نظار المالية السابقين (١٥) محمد باشا سلطان رئيس مجلس النواب (١٦) اسماعيل باشا حق ابو جبل عضو مجلس الشيوخ (١٧) محمد باشا سعيد عضو مجلس الشيوخ (١٨) محمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية (١٩) قاسم باشا من وكلاء نظارة

البحرية السابقين (٢٠) محمد باشا المرعشلى مدير التحصينات العام السابق (٢١) محمود باشا فهمى مفتش التحصينات العام (٢٢) طلبة باشا عصمت القائد الحربى للاسكندرية (٢٣) تجران بك سكرتير مجلس النظار .

وكانت الجلسة متحمسة كثيرا والمناقشة حادة جدا والآراء متضاربة إلى أقصى حد . ويبدو أن حافظ باشا واسماعيل باشا ولطيف باشا كان من رأيهم التسليم بشروط الأميرال . ويقول أحمد باشا شفيق فى مذكراته ص ١٦٢ إن درويش باشا توجه إلى طابية الفنار مع محمد ياور افندى من ضباط الحرس الخديو لاختبارها واختبار المدافع المنصوبة فيها وقال فى هذا المجلس إنه بصفته من ضباط المدفعية يقرر أن الحصون والمدافع التى بها لا تستطيع مطلقا أن تقاوم مدافع المدرعات الانكليزية . وقال أيضا انه لو وثق بأن مصر تستطيع المقـــاومة لتولى بنفسه قيـــادة جيشها ولذا نصح لعرابى باشا بقبول طلبات الأميرال سيمور .

وأذكر هنا حجة أخرى قيمة جدا هى ماقاله مرعشلى باشا مدير التحصينات العام السابق الذى حضر هذا الاجتماع الحافل وأبدى رأيه فى هذه المشكلة ونحن نرى رأيه هذا رأى رجل عاقل جدا فضلا عن أنه اخصائى ملم بمهنته تمام الالمـــام . ولكن مما يؤسف له أشد الأسف أن الآراء الحصيفة التى بمثلها رأى هـــذا الخبير تهمل ولا يعمـــل بها فى وسط ساد فيه التحمس . وهـــاك قطعة من تقريره الذى قدمه الى لجنـــة التفتيش التى تألفت لمحاكمة المدينين فى هذه الحوادث وفيه اثبت هـذا الرأى ، نثبتها هنا بنصها قال :—

فى يوم الأحد ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ (٩ يوليه سنة ١٨٨٢) وردت لنا بوصلة من سعادة أحمد باشا رشيد ناظر الداخلية هذه صورتها :

بناء على التلغراف الوارد لنا من عطوفتلو رئيس مجلس النظار باسكندرية مقتضى توجه سعادتكم لاسكندرية بالوابور المخصوص القائم من مصر يوم تاريخه بعد الظهر بربع ساعة للمذاكرة فى مسألة مهمة . فالأمل التشريف بالحضور لمحطة مصر فى الميعاد المرقوم لأجل التوجه معنا نحن وبعض سعادات الذوات المتوجهين أيضا أفندم ؟

فبنـــاء على هذه البوصلة قد توجهنـــا إلى الاسكندرية فى ليلة ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٩ (١٠ يوليه سنة ١٨٨٢م) وفى صبـاح اليوم المذكور باجتماع المجلس بسراى رأس التين مركبا من هيئـة النظار والذوات الملكية والجهادية وجد إعــــلان وارد من أميرال دونانمة الانكليز مذكور به أنه بعد صـــدور أمر الدولة العليـــة بتوقيف تصليح الاستحكامات وتركيب المدافع والتجهيزات الحربية الجـــارية بمعرفة عرابى ورفقـاه ضد الدونانمة قومانداريتى وصدور أمر الحضرة الخديوية إليهم بذلك وامتثالهم لهذا الأمر لم يزالوا جارين التجهيزات ليلا ونهـــارا لغاية أمس وأجـــروا تركيب ثلاثة مدافـــع بأحدى الطوابى فلعدم امتثالهم للأوامر وبنـــاء على الأمر الصادر لى من دولتى مجبور بضرب الطوابى باكر صباحا وإلا يصـــير نزول المدافع من على قناديقها للأرض مؤقتا حتى تنتهى المسئلة . ومن أجـــل ذلك توجه عطوفتلو راغب باشا مع سعادة عبد الرحمن بك ناظر المالية

وسعادة قاسم باشا وكيل البحرية سابقا إلى الأميرال بالبحر لأجل المرسى معه عن ذلك . وبعد عودتهم عرفوا بأن الأميرال لم يزل مصمما على رأيه فلذلك انعقد المجلس ثانيا بعد الظهر تحت رياسة الحضرة الخديوية . وبالمداولة فيه كان العرض للأعتاب من سعادة محمود باشا الفلكى عن لزوم النظر فى أخف الضررين إما قبول الضرب أو نزول المدافع . ولذا يلزم السؤال عن أحوال الطوابى ومدة مقاومتها لمقذوفات مدافع الدونانمة من مرعشلى باشا حيث أنه خبير بذلك . فبوقته سألنى حضرة الخديو عن ذلك فكان جوابى إن صاحب الوظيفة الآن محمود فهى يسئل منه . وبتوجيه السؤال إليه أجاب بأن طوابى سواحل اسكندرية تقاوم مقذوفات الدونانمة مدة ثلاثة شهور . فبوقته فهمت من مجاوبته أنها إما أن تكون على جهل منه أو لغرض تقوية عزم العصاة . وبإعادة استفهام الحضرة الخديوية منى عن ذلك أجبت بأن طوابى اسكندرية لاتتحمل أكثر من أربع وعشرين ساعة إذا كان الضرب مستمرا وفى ظرف أربع أو خمس ساعات تتخرب الطوابى وأغلب المدافع تلق على الأرض من إصابة المقذوفات لكونها مكشوفة ويكون بداخل الطوابى مثل مجزرة من العساكر القتلى المصابين من الكلل والشرنبالات ومن انتشار قطع الأحجار التى تصادمها الكلل فى الأبنية العالية . وهذا لكون الطوابى المذكورة مبنية من زمن مديد بالنسبة لمقاومة الأسلحة القديمة . والأسلحة الجديدة لها تأثير أكبر

من الاسلحة القديمة . والمراكب الخشب تغـيرت بمراكب زرخ .
وأما تلك الطوابى فانه لم يحصل فيهـا تغيير . فاذا كان التصميم على
الضرب فالأحسن لأجل حقن دماء العساكر لايلزم دخـولها بالطوابى
وقت الضرب . فكانت المعـارضة لى من محمود فهمى بأقواله إنه حضر
محاربة حـدود الصرب وانه نظر تأثيرات كلـل وشرنبالات بكثرة
وما كان يخاف منهـا . كذا عارض طلبة أيضا بقوله نحن يلزمنا
أن نذبح بكلة الانكلـيز تحت المدافع ولا نتركها بدون عساكر .
وكذا عارض عرابى بقوله انه إذا تركنـا الطوابى بدون عساكر
فان الانكليز بعد أن يخربوها فى الحـال توضع بها بنديرات الانكليز .
وقال أيضا هل كل الانجليز تؤثر بطوابينا وكللنا لاتؤثر بالمراكب .
فكانت المجاوبة منى لعرابى أن المدافع التى بطوابينا تأثيرها فى المراكب
قليل جدا وأغلب المدافع من الطراز القـديم ولا يكون لها أدنى تأثير
فى مراكب الزرخ وفضلا عن ذلك فأن مدافعهم وعساكرهم فى داخل
أود من الحديد وأما عساكرنا ومدافعنـا فأنهم فى الكشف تنزل عليهم
الشرنبـالات والكلل بكثرة مثل المطر وتتلفهم فى أقـرب
زمن . وأما القـول عن الانكليز انهم بعـد تخريب الطوابى
يضعون البنديرة بها فهـذا ليس من السهل بمـا أنهم ليسوا هم من
الطير حتى يمكنهم من مسـافة نحو الألف وخمسمائة متر أن يطيروا
ويدخـلوا الطوابى لأنهم متى أرادوا التوجـه على الطوابى يلزمهم
تنزيل عساكرهم فى صنادل لأجل طلوعهم على الساحـل . فبوقتها

يلزم على العساكر التى فى البر أن يستعدوا للمدافعة وعـــدم ترك الانكليز لأن يطلعـــوا على البر . وفى ذلك صعـــوبة جدا للهاجمين بالنسبة لفن الحرب . فما كان يقبل أقوالنـــا وطعن فى حقنا . ونحن كذلك جاوبناه بمـــا لزم . وترتب على ذلك أن اكتسبنا زيادة عداوة مع المذكورين علاوة على العـــداوة الأصلية الناتج منها اخلاؤنا من الوظيفة . وكانت مجاوبتنا لهم بما ذكر لأجل تخويف العصـــاة وارتجاعهم عن المقـــاومة وتنزيل المدافع بما أن ذلك أخف الضررين. ثم بعد تلك المحاورات التى حصلت بالمجلس فى مســـاء يومها جهزوا العساكر طوبجية وبيادة وأهـــالى متطوعين بطوابى الساحـــل . وفى الصباح حصـــل الضرب من الطرفين . وبحـــال الضرب تلاحظ أن الضرب من المراكب ماكان إلا للطوابى التى بهـــا العساكر فقط وتركوا الطوابى التي لم يكن بهـــا عساكر بدون ضرب . ثم تلاحظ أن رؤساء العصاة بدلا عن أنهم يصـــيرون بالطوابى حال الضرب حتى يصير جزرهم تحت المدافـــع كأقوالهم بالمجلس هربوا وتوجهوا إلى طابية الدماس المنيعة وأخفـــوا أنفسهم تحت العقودات من ضرب الكلل حتى تسبب ممـــا حصل من اجراآتهم وحالة الضرب مهـــاجرة الأهالى فتركوا أمتعتهم وأموالهم وهم فى اسوأ حال . وكذا الذوات السابق حضـــورهم من المحروسة هاجـــروا معهم . ومن ذلك اتضح تأييد صحـــة أقوالنا التى أبديناها بالمجلس بشأن عدم وضـــع عساكر بالطوابى فاذا كان لم يحصل مبارزة العصـــاة بوضع عساكر بالطوابى

كما أورينا ما كان الاميرال يأمر بضربهـا ولا كان يحصل شيء من التلفيات . ثم لما رأينا هذه الحالة وبتهددى من العصاة بالكلام حال وجودى معهم وقت الضرب بطابية الدماس مع أغلب النظار وعدم وجود منزل لنا ولا مأوى باسكندرية ولم يكن لى وظيفة تستوجب ابقاءنا بها فضلا عن صعوبة الحالة التى كانت حاصلة وخشية من حصول اضرارى من العصاة لما نظر من أحوالهم وعدم استعدادى بلوازم الاقامة باسكندرية ، حضرنا مع الذوات إلى المحروسة الخ الخ ..اه

وهناك رواية أخرى عن هذا الاجتماع رواها مسيو بيوفيس Biovés فى الصفحة ١٥٠ من كتابه (الفرنسيون والانكليز فى مصر Français et Anglais en Egypte) وهذه الرواية لم أنقلها هنا إلا بعد أن تحققت من مطالعة هذا الكتاب أنه من أحسن الكتب التى سطرت عن هذه المأساة المحزنة وأن مؤلفه كان مسموحا له بالاطلاع على جميع المستندات الرسمية لذلك الحادث المشئوم . وفوق هذا فان معلوماته مستقاة من مصادر صحيحة معتبرة . وإليك ماقاله فى هذا الصدد :—

لقد كان الخديو توفيق يرغب فى عقد اتفاقية صلح شريفة بينه وبين الانكليز ولكن هذا المطمح أثار غضب المشير (درويش باشا) الذى ضرب المائدة بقبضة يده وصاح قائلا : لاتنسوا أنكم جميعا عبيد السلطان الذى مقره بالآستانة ، وليس هنا محل

للمداولة ، وتسليم الحصـــون المصرية أمر يكسو المسلمـــين ثوب الخزى والعار . اهـ

أما أنا شخصيا فأرجح أن درويش باشـــا كان معارضا لطلب الأميرال سيمـــور كما يستفاد من منطوق الخطـــاب السالف الذكر الذى بعث به إلى مستر كارترايت .

ومهما يكن بين هذه الروايات من التناقض فقد تقرر بعـــد المناقشة أبلاغ الأميرال فى ١٠ يوليه سنـــة ١٨٨٢ القرار التالى ردا على انذاره :ـــ

(٢١)

لم تعمـــل مصر شيئـــا يقضى بارسال هذه الأســـاطيل المتجمعة . ولم تعمـــل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمـــل يسوغ مطالب الأميرال إلا بعض اصـــلاحات اضطرارية فى أبنية قديمة . والطوابى الآن على الحـــالة التى كانت عليها عند وصـــول الأساطيل . ونحن هنا فى وطنـــا وبيتنا . فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنـــا ضد كل عدو مباغت يقدم على قطع أسبـــاب الصلات السلمية التى تقول الحكومة الانكليزية إنها باقية بيننا .

ومصر الحريصة على حقوقها الســـاهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طابية دون أن تكره على ذلك بحكم السلاح .

فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم وتوقع مسئوليات

جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم إما عن هجوم الأساطيل أو عن إطلاق المدافع على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الاسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لأحكام حقوق الانسان ولقوانين الحرب . اهـ

وأيضا تقرر من باب المسالمة قبول إنزال ثلاثة مدافع يختارها الأميرال وإذا أبى وأصر تلقى عليه مسئولية التعدى وذلك بعدم المجاوبة إلا بعد إطلاق القنبلة الخامسة . وقد بلغ راغب باشا الأميرال سيمور ذلك بالخطاب الآتى :—

(٢٢)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

حضرة الأميرال

طبقا لما سبق أن وعدتكم به فى أثناء المحادثة التى دارت بينى وبينكم هذا الصباح رفعت لسمو الخديو فى اجتماع حافل بالنظار وكبار موظفى الحكومة الشروط المدونة فى الخطاب الذى تكرمتم بارساله الى قومندان الاسكندرية فى بكرة هذا النهار وذكرتم فيه أنكم نويتم تنفيذ أغراضكم المبينة بخطابكم اليه يوم ٦ من الشهر الحالى فى فجر الغد (١١ الجارى) وذلك اذا لم تسلم لكم مؤقتا البطاريات القائمة على برزخ رأس التين وساحل ميناء الاسكندرية الجنوبى لتجريدها من السلاح قبل هذه المهلة .

وانى لآسف ياحضرة الأميرال أن أعلمكم بأن حكومة سموه

تعتبر هذا الطلب غير مقبول وانها لاترغب قط فى تكدير صفو العلاقات بينها وبين بريطانيا العظمى ولكنها لا تستطيع أن تعترف بأنها اتخذت أى تدبير يمكن أن يعتبر تهديدا للأسطول الانكليزى سواء أكان ذلك من جهة إقامة أعمال فى الحصون أم من ناحية تركيب مدافع بها أو استعدادات حربية .

ومع ذلك فنحن مستعدون أن تنزل ثلاثة مدافع من البطاريات التى أومأتم اليها لنبرهن لكم على أميالنا السلمية ورغبتنا فى تلبية طلبكم على قدر الامكان .

واذا كنتم تصرون رغم هذه التقدمة على إطلاق النار فالحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحق وتلقى مسئولية هذا العمل العدائى على عاتقكم .

وتفضل ياجناب الأميرال بقبول الخ . ؟

رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية
الامضاء
اسماعيل راغب

* * *

وتسلم هذا الخطاب ياور درويش باشا وضابطان مصريان لتوصيله للأميرال ولكن بسبب أن جميع السفن كانت أنوارها مطفأة لأنها كانت تعتبر الحالة وقتئذ حالة حرب أمست الميناء تسبح فى ظلام دامس ولم يستطع هؤلاء الضباط أن يجدوا سفينة الأميرال ليسلموه هذا الخطاب فى نفس تلك العشية .

وفى صباح ١١ يوليه توجهوا الى البارجة هلكن وهذه

أوصلتهم إلى الأنفنسيبل التي كان بها الأميرال وسلموه خطاب راغب باشا فى الساعة السادسة صباحا .

وبعد أن أطلع عليه الأميرال وعلم ما جاء به أرســـل معهم الرد السلبى الآتى :—

(٢٣)

من ظهر البارجة انفنسيبل بالاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

ياصاحب السعادة

أتشرف باخباركم بوصـــول بلاغكم المؤرخ بتاريخ أمس وأنى آسف أن أخـــبركم أنه ليس فى استطاعتى أن أقبل ماعرضتمـــوه فى هذا البـــلاغ .

ولى الشرف الخ ..؟

رئيس قومندانية القوة البحرية البريطانية فى البحر الابيض المتوسط
الامضاء
بوشامب سيمور

وانصرف هؤلاء الضباط ومعهم الرد وانتظر الأميرال وصولهم الى البر ثم أعطى الاشارة باطلاق النار .

وقبل حصول الضرب أرسل لورد جرانفيل باسم حكومته الى ممثلى حكومة صاحبة الجـــلالة البريطانية فى باريس وبرلين وفينا وروما وسان بترسبرج والآستـــانة البرقية التـــالية اتماما لسلسلة هذه

المكاتبات وتبريرا للعمل الذى لا أجد ما أصفه به الوصف الكافى والذى أوشك أن يحدث ، واليك نص هذه البرقية :—

(٢٤)

وزارة الخارجية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

بنـاء على برقيتى التى أرسلتها أمس مساء ينـوا للحكومة التى أنتم معتمدون لديها أن الخطـة التى أنبأنا أميرالنا أنه سيسير عليها ليست أكثر من عمل دفاعى بسيط ومشروع ـ وأما قتاله ـ اذا كانت تدعو الضرورة لسوء الحـظ الى قتـال ، فسيباشره لهذه الغاية وبدون أية فكرة أخرى .

ويتضح من تقريره أن أولى الأمر والنهى بالاسكندرية على وشك أن يقـوموا باستعدادات عـدوانية ويضربوا بأوامر السلطان ورغبات الخديو عرض الحائط رغما عن تأكيداتهم الايجابية ؟

وأرسل إلى لورد دوفرين Lord Dufferin برقية واحدة بقصد خداع السلطنة العثمانية، وهى :ـ

(٢٥)

يجول بفـكرنا أن مانقوم به من الأعمـال لم يكن إلا فى صالح السلطان الذى يستخفون بسيطرته ؟

* * *

فهل من الممكن تغيـير الحقيقة بجرأة أشد من هذه الجرأة ؟ ومن أى جانب يكون الدفاع المشـروع ؟ أمن جانب أسطول قوى قـدم ميـاه بلد وصـار يصوب مـدافعه وقاذفات

أنواره الكهربائيـــة كل ليـــلة على حصـــون هـــذا البـــلد ؟ أم من جانب أهالى هـذا البـــلد الذين عنـدما رأوا ذلك أخـــذوا يحاولون ـ تأمينا على حياتهم ـ القيـــام ببعض ترميمات تافهة غير مجدية فى حصونهم العتيقة ؟

نعم لانزاع فى أن القوة تصير الباطل حقا ولـــكنها فى الحالة الحاضرة جاوزت فى انتهاكها للحق كل حد .

وكان هنالك على ماأرى وسيلتان للخروج من هـذا المأزق :-

الوسيلة الأولى التى أوعز بها مرعشلى باشا وهى تقضى بالكف عن مجاوبة نيران الاسطـــول الانجليزى واخلاء الحصون من الجنود وبهذه الكيفية يكون الانجـــليز نالوا مشتهاهم واذا استمروا بعد ذلك على تصويب مقذوفات مدافعهم عـــلى حصون لم تقابل عدوانهم بمثله لأجل نسف مدافعها يكونون قد أتوا بعمـــل لايشرفهم ولا يهيء لهم أىحجة لاحتـــلال المدينة ، وبهذه الوسيلة نكون قد تجنبنا خسارة جنودنا الأبطال الذين راحوا ضحية فى ذلك اليوم المشئوم .

والوسيلة الثانية هى ـ أنه كان يوجد فى مينـــاء الاسكندرية بوارج حربيـــة لكل الدول فـــكان فى الاستطاعة الاتفـــاق معهـــا عـلى أن نرسل كل واحدة منها فريقـــا من بحـــارتها إلى البر وتعهد اليها حراســـة الحصون المطـــلة على البحـــر . وبهـــذه الكيفية لايكون للأمـــيرال حجة يتمســـك بها ويزعم

أنه مهدد واذا استمر بعد ذلك علي تنفيذ خطته ولم يجنح الى السلم وجد أوروبا كلها أمامه .

ويظهر لى أن هذين الحلين كانا هما السبيل الوحيد لاجتياز مصر هذه العقبة الخطرة . ولكن شاءت الأقدار غير ذلك بعد أن فرغ كل مافى جعبتها من وسائل السلم فأقبلت على الخضوع الى ماقدر لها فى عالم الغيب ومكابدة احتمال فوادح الخطوب من احتلال أجنبي أعقبه بتر أكبر قسم من أراضيها .

مواقع الحصون
من موقف الأسطول

قبل أن أتكلم عن ضرب الأسطول لحصون الاسكندرية يجدر بى أن أبين مواقع الحصون بالنسبة للأسطول ليكون الأمر أمام عين القارىء فى صورة واضحة جلية .

إن حصون الاسكندرية القائمة على طول شاطيء البحر تنقسم إلى ثلاث مناطق بالنسبة لتعرضها لضرب الأسطول : ـ

١ ـ المنطقة الأولى . وهى الواقعة شرق المدينة ، ليس بها غير حصن السلسلة . وهذا الحصن لانعده قد اشترك فى القتال وان كان قد أطلق بعض طلقات على السفن التى كانت تصوب مقذوفات مدافعها على قلعة قايتباى . لأن هذه السفن لم تجاوبه بتاتا فلم يصب بضرر ما .

خريطة حصون الاسكندريه والسفن الانكليزيه التي ضربتها في ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ م



٢ ـ المنطقة الثانية . وهى الواقعة شمال المدينة ، بها من الحصون حصن قايتباى والهلالية والأطة والاسبتالية ورأس التين والفنار .

٣ ـ المنطقة الثـــالثة . وهى الواقعة غرب المدينة ، بها من الحصون حصن صـالح أغا والـــبرج رقم ١٥ وأم قبيبـــة والعجمى والمرابط . وكان حصن العجمى لم يتم انشاؤه إلى وقت الضرب .

أما الأسطول الانجلـــيزى فكان مؤلفا من ثمـــانى مدرعات كبيرة وخمس سفن صغـــيرة غـير مدرعة . وقد انقسمت المدرعات الى قسمين :ـ

١ ـ القسم الأول ، ويسمى الأسطول الخـارجى ، كان مؤلفـا من المـــدرعات الخمس : الكسندرا ، وانفلكسيبل ، وسلـــطان ، وسوبرب ، وتمـرير . وهـذا القسم كان يقوده الكابتن هنت جـــرب Hunt Grubbe قائد المـدرعة سلطـــان . وكانت مهمته تنحصر فى الوقوف خارج الميناء فى عرض البحر ومهاجمة حصون المنطقة الثانية .

٢ ـ القسم الثانى ، ويسمى الاسطول الداخلى ، كان مؤلفا من ثلاث مدرعات هى انفنسيبل ، ومونارك ، وبنلوب بقيادة الأمـــيرال سيمور وكانت مهمته أن يقف فى الجزء المتقـــدم من الميناء ويهاجم حصون المنطقة الثالثة . وهذا التقسيم كان سببا فى انتقـــال الأميرال سيمور من الكسندرا سفينة القيادة لهذا الاسطول إلى المدرعة انفنسيبل .

وأما السفن الخمس الصغيرة فقـــد تلقت الأمر بأن تقف

خارج منطقة مرمى القنابل الى أن تحين الفرصة المناسبة التى تسمح لها بالاشتراك فى مهاجمة حصون المنطقة الثالثة نظرا لقصر عمق غاطسها .

وكانت الخطة المرسومة لكلا قسمى الأسطـــول كما قلنا آنفـا أن تصوب مدرعاته نيران مدافعهـــا كلها سوية الى حصن واحـــد وبعد أن تسكته تقصد الى الحصن الذى يليـــه وتقوم بنفس العمـل الذى عملته مع الحصن الســـالف . وهكذا دواليك مع باقى الحصون إلى أن تسكت جميعا سكوتا تاما .

وبمـا أن العمل بهذه الكيفية أى تصويب قوة كل الأسطـول فى آن واحـــد الى حصن واحد ، من شـــأنه أن يجعـل الأسطـول متفوقا على هـذا الحصن الواحـــد تفوقا كبيرا ، فقد بذل القومندان جودريتش مجهودا كبيرا ليصل الى الموازنة بين القوتين فى الجانبين فى مختلف المعارك التى دارت رحاها بهذه الكيفية بين الأسطول والحصون وبين كل واحدة منها على حـــدة . وهذه هى النتيجة التى حصل عليها :ـــ

النسبة بين قوة الحصون وقوة الاسطول

قوة حصن قايتبـــاى بالنسبة للأسطول الذى هاجمـــه	٤ : ٣٣
« « الأطـــة « « « «	٥ : ٣٣
« « رأس التين « « « «	٧ : ٢٦
« « الفنـــار « « « «	٤ : ٢٦
« « المكس « « « «	٥ . ١٦

وقد قال القومندان جودريتش بعد ذكر هذه الموازنة إنه يعــدها دون الحقيقة بالنسبة للأسطول لتفوق عيار مدافعــه على عيار المــدافع المصرية .

وإذا أضفنـــا الى ذلك تفوق رجال المــدفعية الانكليزية بالنسبة لتجاربهم على رجال المدفعية المصرية لعدم مرانهم كان البون بينهما سحيقا بعيدا .

حامية الاسكندرية

قبل مذبحة الاسكندرية التى حدثت يوم ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ كانت حاميتها مؤلفـــة من ٥ جى بيادة و ٦ جى بيادة وهما الآلايان اللذان يتألف منهما اللواء الثالث بقيـــادة اللواء خورشيد باشا طاهر . ومن ١ جى طوبجية ســـواحل بقيادة أمير الآلاى اسماعيل بك صبرى . وكان هؤلاء جميعا تحت أمرة الفريق اسماعيل باشا كامل .

وبعد تلك المذبحة عندما قـدم الى الاسكندرية يعقوب باشـا سامى وكيل نظارة الجهادية وكان عضوا فى المجلس الذى تألف لتحقيق هذه الحـــادثة وتوطيد النظام بكيفية شـافية وافية فى هـــذه المدينة خصوصا بعـــد ما جاءت الى مينائها الأسـاطيل الفرنسية والانكليزية وغيرهما ورابطت فيها ،كتب سامى باشا الى نظارة الجهادية لتعزز هذه الحاميـة وترسل لواء مؤلفا من آلايين من المشاة . فلبت النظـارة طلبه

وأرسلت الى الاسكندرية ٢ جى بيادة و ٤ جى بيادة بقيادة اللواء طلبة باشا عصمت . ولما رأى الفريق اسماعيل باشا كامل طلبة باشا عصمت على رأس هذا اللواء وكان على علم بأنه لا يخضع له ولا يرضى بأن يكون له عليه أى سيطرة وإن كان أرقى منه رتبة لأن طلبة باشا من صنائع عرابى ، أخذ اجازة مرضية اتقاء لهذه المحاذير وتخلص من القيادة التي انتقلت من يده ابتداء من ذلك اليوم وأصبحت فى يد اللواء طلبة باشا عصمت .

وإليك بيانا بوحدات حامية الاسكندرية يوم ضرب حصونها :—

٢ جى بيادة

القائد — أميرالآلاى خليل بك كامل .

وكيل القائد — القائمقام احمد بك عفت .

بكباشى الأورطة الأولى — محمد افندى عارف .

« « الثانية — محمد افندى فوده .

« « الثالثة — محروس افندى شلش

١٨٦٣ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٤ جى بيادة

القائد — أميرالآلاى عبد بك محمد .

وكيل القائد — القائمقام فوده بك حسن .

بكباشى الأورطة الأولى — احمد افندى عبد الرحمن .

١٨٦٣ ماقبله

بكباشى الأورطة الثانية — رزق افندى حجازى .

« « الثالثة — حسن افندى عاصم .

١٨٨٥ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٥ جى بيادة

القائد — أميرالآلاى مصطفى بك عبد الرحيم .

وكيل القائد — القائمقام فرج بك عبد العال .

بكباشى الأورطة الأولى — يوسف افندى السيد .

« « الثانية — عبد الرحمن افندى سليم .

« « الثالثة — سليمان افندى تعيلب .

١٨٢٤ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٦ جى بيادة

القائد — أميرالآلاى سليمان بك سامى .

وكيل القائد — القائمقام على بك عيسى .

بكباشى الأورطة الأولى — على افندى رمزى .

« « الثانية — فرج افندى يوسف .

« « الثالثة — احمد افندى راغب .

١٨٩١ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٧٤٦٣ مجموع البيادة ضباط وصف ضباط وجنود .

٧٤٦٣ ماقبـــله

١ جى طوبجيـــة سواحل

القائـــد — أميرالآلاى اسماعيل بك صبرى .

وكيـــل القائـــد — { القائمقام محمـــد بك نســـيم . والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم }

بكباشى الأورطة الأولى — عبـــد العال افنـــدى ابو العلا .

« « الثانيـة — { سيف النصر افندى . والد حضرة صاحب العزة حمـــدى بك سيـــف النصر . }

« « الثالثـة — محمـــد افنـــدى شرمى .

١٧٦٢ مجمـــوع عدد الضبـــاط والصف ضبـــاط والجنـــود.

أورطتان من ١ جى سوارى

القائـــد — البكباشى محمـــد افنـــدى منيب .

٢٦٢ مجمـــوع عدد الضبـــاط والصف ضبـــاط والجنـــود .

٩٤٨٧ المجموع الكلى

* * *

استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب

لقـــد فشلت كل الجهود التى بذلت ابتغاء ايجاد طريقة للسلم واجتناب الحـــرب بسبب عناد الأميرال سيمـور وتصلبه . ولم يبق إلا تفويض الأمر للحـــديد والنار .

وفى ليلة ١١ يوليه سنـــة ١٨٨٢ أرســـل عرابى باشـــا

أمراء الآلايات عيد بك محمد ومصطفى بك عبد الرحيم وسليمان بك سامى قواد ٤ جى و ٥ جى و ٦ جى بيـادة فى طلب أمير الآلاى اسماعيل بك صـبرى قائد ١ جى طوبجية سـواحل وقومندان حصـون الاسكندرية . وكان عرابى باشا وقتئذ بالترسانة ومعه محمود باشـا فهمى وطلبة باشا عصمت قائد حامية الاسكندرية ومحمـد باشا كامل وكيل نظارة البحرية . فلما جاء أخبره أن الأسطول الانكليزى سيضرب حصون الاسكندرية صبح يوم الغد . واستطرد فى الكلام فقال : وان كان المجلس الذى انعقـد فى سراى رأس التين برياسـة الخديو قرر عـدم مجاوبة الأسطول إلا بعد الطلقة الخامسة فمن اللازم أن يصدر أمرا بأن المجاوبة لا تكون إلا بعد الطلقة العاشرة .

وبعد أن تلقى اسمـاعيل بك صبرى هـذه الأوامر انصرف هو ووكيله القائمقام محمد بك نسيم ليقابل بكباشيـة الآلاى ويبلغهم الأوامر التى تلقـاها وبعد أن أتم مهمة التبليغ ذهب كل واحـد من هؤلاء إلى مركز عمـله . فذهب البكباشى عبد العال افندى ابو العلا إلى قلعة قايتباى والبكباشى سيف النصر افندى الى حصن الفنار . والبكباشى محمـد افندى شرمى إلى حصن المـكس . أما أمير الآلاى اسمـاعيل بك صبرى فقد أخـذ تحت قيادته المباشرة حصون المنطقة الثانية وأقام مركز قيـادته فى حصن الأطة وأرسل وكيله القائمقام محمد بك نسيم لقيادة حصون المنطقة الثالثـة وقد جعل مركز قيادته بحصن المكس .

وأصـــدر أحمد باشا عرابى الأوامر الآتية للشاة :—

يجب على ٥ جى يادة بقيـــادة أمير الألاى مصطفى بك عبد الرحيم أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثانية أى من قلعة قايتباى الى حصن الفنار مع ٤ جى يادة بقيادة أمير الألاى عيد بك محمد . وعلى الألاى الأخـــير أن يقيم بباب شرقى بصفة احتياطى .

ويجب على ٦ جى يادة بقيادة أمير الألاى سليمان بك سامى أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثالثة أى من حصن طابية صالح إلى حصن العجمى ومعه ٢ جى يـــادة بقيادة أميرالألاى خليل بك كامل . وعلى هذا الألاى الأخير أن يقيم بالقبارى بصفة احتياطى .

وعلى الأورطتين من ١ جى سوارى أن تقـــوما بواجب الخدمة بصفة مراسلة بين مختلف الحصون والمراكز .

هـــذه هى الترتيبات التى وضعتها القيادة المصرية .

أما الانكليز فقـــد وجه الأميرال سيمـــور بتاريخ ١٠ يوليه الى قواد وضباط بوارج صاحبة الجـــلالة الملوكية باسكندرية أوامره باتباع الترتيبات التى جاءت فى هـــذا المنشور :—

من البارجة انفنسيبل فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

إنه فى حالة ما اذا لم اتلق جـــوابا مرضيا على الانذار الذى أرسلته إلى قائد الاسكندرية الحـــربى اطلب منه فيه أن يسلمنى مؤقتا الحصون القائمة على ساحل الميناء الجنوبى (حصون المنطقة الثالثة ، من

حصن صـــالح الى حصن العجمى) وحصون رأس التين ـ اذا لم أتلق جوابا مرضيا ـ يغير الأسطـــول بقيادتى على الحصـــون عقب ما تنتهى الأربع والعشرون ساعة وهى مدة المهلة التى أمهلت بها المحايدين ليبارحوا فى خلالها المـــدينة . وهذه المدة تنقضى فى الساعة الخامسة صباحا من يوم ١١ يوليه .

وسيكون الهجوم من ناحيتين :ــ

١ ــ الناحية الأولى داخـــل الميناء ، وتشترك فيه انفنسيبل ، ومونارك ، وبنلوب .

٢ ــ الناحية الثانية خارج حاجز الأمـــواج ، وتشترك فيه سوپرب ، وتمرير ، والكسنـــدرا ، وانفلكسيبل .

ويبتدىء القتال عند صدور الاشارة منى . وفى هذه الحالة على السفينة الأكثر دنوا من ســـاتر التراب الذى أقيم أخيرا فى طابيـــة الاسبتالية التى بجوار حصن الأطة ، أن تصوب قذيفة الى هذا الساتر .

وعندما تجاوب الحصون الأسطول الخارجى باطلاق النار يجب على السفن بذل كل مجهودها وتدمير البطاريات القائمة على شبه جزيرة رأس التين خصوصا حصن الفنار المطل على الميناء . ومتى تم ذلك تتجه سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا الى الشرق لتهاجم حصن فاروس (قايتبـــاى) . وتهاجم حصـــن السلسلة اذا كانت مهاجمته فى الامكان .

وتتجه انفلكسيبل فى عصر هذا النهار نحو الموقع الذى بقرب البوغاز الصغير والذى عين لها أمس وتستعد لضرب مـــدافع خط المكس ومساعدة الأسطول الداخلى عند ما تعطى الاشارة بالضرب.

وتأخذ تمرير، وسلطان، والكسندرا فى ضرب حصون رأس التين من الجانب .

وتظل السفن الصغيرة فى الخارج بعيدة عن منطقة القتـــال إلى أن تجد الفرصة المناسبة للهجوم على المكس .

ويجب على السفن أن تراعى فى تنفيـــذ هـــذه التعليمات كلهـــا دواعى الظروف مراعاة كبيرة بمعنى أنهـــا تراعى الحالة التى يجب عليها أن تقاتل وهى فيها . فأما أن تقـــاتل وهى راسية فى مراسيها أو تقاتل وهى متحركة .

وإذا كانت الحالة تدعو الى قتـــالها وهى ملقية مراسيهـــا وجب حينئذ أن يزاد حبل من الفولاذ .

وعلى الجنـــود أن يتناولوا فطورهم فى منتصف الســـاعة الخامسة صبـــاحاً وأن يرتدوا ملابس العمل الزرقاء .

وسيكون الأسطول الداخلى تحت قيـــادتى الشخصيـــة ، والأسطول الخارجى تحت قيادة الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان.

وتقوم السفينتان هلكن وكندور بوظيفة سفن الاعادة .

وبالجمـــلة ينحصر الغرض من الهجوم فى تخريب الحصون وتدمير البطـــاريات المنصوبة على واجهة بحر الاسكندرية .

ومن المحتمل أن هـــذا العمل لايمكن إتمامه فى أقـــل من يومين أو ثلاثة . فيجب استعمال المقـــذوفات مع الحـرص . وعلى كل حال من المرتقب قـــدوم الباخرة همبر Humber الى هنـــا فى ١٢ يوليـــه وعليهـــا مقدار كبير من الذخيرة .

واذا وصلت البـــارجة اتشلز Achilles فى الوقت الـــلازم يجب عليهـــا مهـاجمة حصن فاروس (قايتبـــاى) والوقـوف فى الموقف الذى يأمرها قائد الأسطول الخارجى أن تتخذه .

وتقف الكسـندرا على بعـــد ١٥٠٠ ياردة تجـــاه حصن رأس التين .

وتقف سلطان على بعد ١٧٥٠ ياردة تجـــاه منتصف المســـافة بين حصنى الفنـار ورأس التين .

وتقف سوبرب على بعد ١٩٥٠ ياردة تجاه حصن الفنار .

وتقف انفلكسيبل على بعـــد ٣٧٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المـــكس .

وتقف تمـرير على بعـــد ٣٥٠٠ ياردة فى الشمال الغـــربى من المـــكس .

وتقف پنلوپ ، وانفنسيبل ، ومونارك على بعـــد يتراوح بين

١٠٠٠ و ١٣٠٠ ياردة فى الشمال الغـــربى من المكس ؟

الامضـاء

بوشامب سيمور

أميرال وقومندان القيادة

ويؤخذ من ترتيب هذه البوارج عدا البـــارجتين انفلكسيبل وتمرير ووضعها فى هـــذه المواقف أن الأمـــيرال أراد أن تكون المسافـــة التى يرمى منهـا هذا الأسطول مقذوفاته وخصوصاً الأسطول الداخلى ، قصيرة قريبـــة من الحصون على الرغم من بعـــد مرمى مدافع سفنه الضخمة . ومن هذا نستنتج عدة نتائج :—

١ — أن المخاوف التى كان يخشى منهـــا الأميرال على أسطوله من جراء وضـــع مدافع فى الحصون قبل الضرب ، كانت مخاوف مختلقة أراد بها تبرير عمله .

٢ — أن هذا الأميرال لم يـــكن يخشى ضرراً كبـــيراً من المدفعيـــة المصرية التى فى هذه الطوابى . ولذلك دنا منها هـــذا الدنو الكبير الذى لم يجرئه عليـــه إلا اعتقـــاده الجازم بقصر مرمى هذه المدفعيـــة وضعف تأثير مقذوفاتها .

٣ — أنه كان على علم تام بأن هـــذه الحصون كلها عدا قلعـــة قايتباى كانت مدافعهـــا منصوبة فى العراء وبلا وقاية تقى جنـــودها . والدليـــل على ذلك أنه أمر باستعمال مدافعـــه الصغيرة خصوصاً المنصوبة منهـــا فى الطبقـــات العليا من سفن هذا

الأسطول ، وذلك لكى يفتك بجنود هذه المدافع فيسكنها بقتل جنودها وبدون أن يحتاج فى اسكاتها إلى ضربها واتلافها وهذا ماحدث فعلا فى كل هذه الحصون عدا قلعة قايتباى .

البدء بالضرب

فى صباح يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ فى الساعة السابعة صباحاً أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب غير مبال أية مبالاة بحقوق الشعوب الأمر الذى يكسو الحكومة التى وافقت على سفك دماء الأبرياء ثياب العار ، ويسجل فى تاريخها صحائف سوداء لايمحوها مرور الأزمان ولا كرور الأعوام .

وقد كان الجو وقت الضرب صحوا والبحر رهوا إلا أن النسيم الذى يهب فى هذا الفصل على الاسكندرية من الشمال الغربى كان يطرد دخان مدافع الأسطول إلى الشاطىء فينشر الظلام على الحصون ويحول فى فترات واسعة دون رؤية الأهداف التى يجب أن تسدد إليها السفن مقذوفاتها . ولولم تظهر أمام الأسطول هذه العقبة لكان موقفه من أحسن المواقف .

وعملا بأوامر الأميرال أرسلت الكسندرا التى كانت أقرب السفن من حصن الاسبتالية ، أول قذيفة إلى هذا الحصن . واقتدت بها بقية السفن فأطلقت مدافعها ولكن بعض الحصون

لم تجاوبها إلا بعد الطلقة العاشرة والبعض الآخر بعد الخامسة عشرة . ثم عمت المعركة الجانبين .

حركات الاسطول الخـــارجى

سـارت سفن هذا الاسطول فى بدء المعركة على الخطة الحربية التى رسمت لهـــا فصوبت مقذوفاتها أولا على حصون الفنـــار ، ورأس التين ، والاسبتالية . ولم تعر مؤقتـــا التفاتها إلى الحصون الأخـــرى . وقاتلت ثلاث منهن متنقلة وهى سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا . أما البارجة انفنسيبل فكانت ملقية مراسيها فى الممر الصغير لتعاون الأسطول الداخلى مصوبة مدفعين من مدافعها منصوبين فى برجها الأمامى وزن الواحد ٨٠ طنا لضرب الحصون السالف ذكرها ومدفعين فى برجهـــا الخلفى لضرب حصن المكس .

وأما البارجة تمرير خامسة بوارج هذا الاسطول فقد نشبت فى مكانها (شحطت) أثناء المنـاورة التى كانت تقـوم بها لتتخذ الوضع الذى رسم لها خارج البوغاز ، ولكنها واصلت الضرب وهى فى المكان الذى نشبت فيـــه وجاءت السفينة كندور لانقـــاذها فعومتها بدون أن ينالها أى ضرر .

وقد كانت هذه البوارج الثلاث تقاتل وتـكافح من بدء القتـال فى الساعة السابعة إلى منتصف الساعة الحـــادية عشرة وهى متنقـــلة وعلى بعد ١٥٠٠ ياردة حسب تعليمات الأمـيرال وقاومتها الحصون

مقاومة فاقت ما كان يظنه الانكليز وأبدى جنـــود مدفعيتها فى اطلاق هذه المدافع مهـــارة لم يكونوا يتوقعونها منهم فألقت هـــذه البوارج مراسيها عند منتصف الساعة الحادية عشرة لأنها رأت ضربها غير محكم وهى متنقـــلة . وبذلك حصلت على المسافة المضبـــوطة التى تفصلها من الحصون وأخذ ضربها لها ابتداء من هذا الوقت يزداد أثره .

وبانضمام البـــارجتين انفلكسيبل وتمرير إلى هـــذه البوارج الثلاث أمكنها اســـكات حصون رأس التين والفنـــار والاسبتالية فى منتصف الساعة الواحدة بعـــد الظهر . غير أن مدفعا واحـــدا من مدافع حصن الاسبتـــالية لم يسكت ولم ينقطع عن الضرب إلا فى الساعة الخامسة مساء . وقد أصـــابت قنابل هـــذه البوارج سراى الحـــريم بقصر رأس التين فالتهمتها النيران فى الساعة العاشرة مساء .

قال القومنـدان جودريتش إن جنود المدفعيـة المصرية جاوبوا نيران الاسطول الانكليزى الجهنمية مجـــاوبة مدهشة لم تكن منتظرة بتاتا وأظهروا بسالة عجيبـة رغم التفـــاوت الجسيم الذى بينهم وبين الانكليز من ناحيتى عدد المدافع وعيارها .

ولقد كانت البارجة انفلكسيبل عندما تطلق مقـذوفاتها التى تزن القذيفة منها ١٧٠٠ رطل على حصن الفنار وتصطدم بســـاتره تثير النقع والغبـــار والشظايا إلى ارتفاع الفنـــار نفسه . ويتخيـل المرء

عندما يرى ذلك أن ليس فى استطاعة أحد من البشر أن يعيش تحت هذه النيران ولكن عندما ينقشع العثير بعد بضع دقائق يرى جنود المدفعية المصرية فى مواقفهم يطلقون القنابل على خصمهم الرهيب . اه

وعقب منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر عندما أسكتت مدافع المدرعات الثلاث سلطان ، وسوبرب ، والكسندرا مدافع الحصون الثلاثة المذكورة ، اتجهت نحو حصن الأطة ، ويظهر أنها كانت تعتقد أن قوتها لاتكفى للتغلب عليه ، ولذلك طلبت من المدرعتين انفلكسيبل وتمرير أن تأتيا لمشاركتها فى ضربه . فصوبت هذه المدرعات الخمس نيرانها دفعة واحدة إلى هذا الحصن المنكود الذى دافع عن نفسه دفاعا عجيبا أمام غارة البوارج الخمس التى هي أقوى سفن الأسطول الانجليزى . وسلك قائد هذا الحصن الذى لم أوفق لسوء الحظ إلى معرفة اسمه فى قيادته سلوكا باهرا غاية فى البسالة والاقدام . وقد شهد له بذلك شاهد العيان الكابتن وولتر جودسول Walter Goodsall قومندان الباخرة تشلترن Chiltern إحدى سفن شركة التلغراف الشرقية ، الاسترن تلجراف Eastern Télégraphe Cie الذى كان حاضرا هذه الواقعة فى ذلك اليوم . وهذا ماقاله :ـ

لقد عجبت من هذه البطولة التى لايمكننى أن أدرك كنه كيفيتها والتى كانت تتحلى بها الجنود الذين يطلقون مدافع حصن الأطة ، كما عجبت أشد العجب من الموقف الذى وقفه قائد هذا الحصن قرب سارية علمه وهو بمفرده والمنظار فى يده ينظر منه الأثر الذى أحدثته المقذوفات

التى كانت تنطلق .

لقـــد كان حقاً رجلا شجاعاً مزدرياً عـــدد المقذوفات التى كانت تلقى على حصنه ذلك الحصن الذى كان يجاوب هذه المقـــذوفات باطلاق مقـذوفاته كلمـــا مرت عشر دقائق . ثم رفعت البـــارجة انفلكسيبل مرساتهـــا وشرعت تصـوب قنـابل مدافعهـــا الضخمة الى هـذا الحصن . ويظهر أنهـــا دكت أسسه ودمرته تدميراً . وفى منتصف السـاعة الثانيـــة بعد الظهر سددت قنبـــلة الى مستودع بارودهولابد أنهـــا أصابتـه ودخلت فيـــه لأنه انفجر فى منتصف الساعة الثالثة ونسف ، ولا بد أيضا أنه قتل جنـــود كثيرون فى هذا الحصن لأن عددا كبيرا منهم طار فى الفضاء والضابط الذى كان واقفا فيه وقفة الأسد فى عرينه طار فى الهواء هـو وسارية علمه . اﻫ

* * *

هـذه كانت خاتمة ذلك البطل الصنديد وجنوده البواسل وبعـد هذا الانفجار أخلت الحامية حصن الاطة ورحلت عنه .

وقد اتجهت المـــدرعات الخمس على أثر تدميرها حصن الأطة نحو قلعـة فاروس (قايتباى) وظلت تصليه بنيرانها الى السـاعة الخامسة مساء أى الوقت الذى أعطى فيه الأميرال الاشـــارة بايقاف الضرب.

وقد أصيبت هـذه القلعـــة بأتلاف جسيمة ولكنها مع ذلك لم تسكت عن اطـلاق مدافعها سكوتا تاما واستمرت ترمى مقـذوفاتها الى أن صدر الأمر بالكف عن اطلاق النيران .

حركات الأسطول الداخلى

كانت المدرعات الثلاث التى يتألف منها هـــذا الأسطول وهى أنفنسيبل ، وبنلوب ، ومونارك بقيادة الأميرال سيـــمور مباشرة ، وكان علم هذا الأميرال معقودا على أولاها وكان موقفها حسب تعليمات القتال شمال غربى المكس . وقد ألقت هى والثـــانية مراسيها على بعد يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ ياردة بينما الثالثة كانت تتنقل فى منطقة على بعد هذه المســـافة عينها . وكانت مهمة هـــذه البوارج الثلاث مقاتلة حصون أم قبيبة ، والمكس ، والدخيلة ويعاونها فى ذلك البارجة انفلكسيبل التى كانت ملقية مراسيها خارج الممر الصغير وتقـــذف النيران منذ ضحوة النهار من مدفعيها المنصوبين فى برج مؤخرتها واللذين يزن كل منهما ٨٠ طنا وكذلك كانت تعاونها البارجة تمرير التى كانت ناشبة (شاحطة) خارج ممر البوغاز . وكانت كلتـــا هاتين السفينتين تقاتل الحصون على مسافة قدرها ٣٥٠٠ ياردة تقريبا . وقد أصيب فى الساعة التاسعة صباحا مستودع البـــارود الذى كان خلف حصن الدخيـــلة بقذيفة من قذائف السفينة مونارك فتطاير فى الفضاء .

وعلى أثر ذلك أشار الاميرال إلى هذه السفينة بالاقتراب من الشاطىء بقدر ما يسمح لها غاطسها لتسحق جنود المدفعية أو تطردهم من حول مدافعهم فأطاعت .

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة كفت هذه الحصـــون عن

الضرب فكفت السفن أيضا عن ارسال مقذوفاتها . ولكن قبيل الظهر أبصرت السفينة مونارك جنودا انسلوا الى مدافع الحصون فأمرها الأميرال هى وبنلوب أن ترسلا عليهم مقذوفاتها فأطاعتا وانتهى الأمر بطرد هؤلاء الجنود من مواقفهم .

قال الماجور تُلك Tulloch أحد رجال قلم المخابرات وكان على ظهر السفينة انفنسيبل أمام حصن المكس ، فى كتابه (ذكريات أربعين عاما فى الخدمة ص ٢٧٧) Recollections of Forty Years Service . عن جنود مدفعية حصن المكس ما نصه :-

لقد كان حقا من العجب العجاب أن أرى هؤلاء الجنود رغم شدة الضرب واقفين فى أماكنهم ملازمين لمدافعهم . وقد رأيت أكثر من مرة قذيفة من قذائفنا تدخل فى إحدى كوات مدافعهم فقلت فى نفسى لقد قضى على هذا المدفع وأمسى فى حيز العدم . ولكن لم ألبث بعد ذلك حتى قلت : كلا ثم كلا ! ! فقد كان الجواب من هذا المدفع يعود فى الوقت اللازم وقد أتى مرة من المرات بسرعة فائقة جدا حتى لم اتمالك نفسى ووثبت الى حافة السفينة ورفعت يدى صائحا : لقد أجدت العمل أيها الجندى المصرى ! . اهـ

ثم رأت السفينة كندور أن حصن المرابط يطلق مدافعه على السفن الكبيرة ببعض الاحكام . فاقتربت منه وهاجمته لتحول دون

ضربه لها . ولما شاهد الأميرال فعل هذا الحصن أمر السفن الأربع الصغيرة أن تعاون كندور فى هذا العمل ففعلت واسكتت الحصن .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر رأى الأميرال هذه الحصون قد أخلتها الجنود فأرسل إلى البر عشرين جنديا ليسمروا أو ينسفوا مدافع حصن المكس بالديناميت ففعلوا ورجعوا دون أن يصابوا بأذى . وهذا يدل دلالة واضحة على أن الجنود البيادة الذين كانوا فى حراسة هذه المنطقة لم يقوموا بالواجب الملقى على عاتقهم وأهملوه اهمالا يستحقون عليه المؤاخذة .

وفى منتصف الساعة الرابعة (الساعة ٣½) أخبرت المدرعة بنلوب الأميرال بأن مدافع حصن القمرية تتأهب مرة ثانية للضرب وأخبرته أيضا المدرعة مونارك بعودة الجنود إلى حصن المكس .

فأمرهما بأن تسددا مقذوفاتهما إلى هذين الحصنين فصدعتا بالأمر وأخذتا تضربهما حتى منتصف الساعة السادسة مساء حيث أمر الأميرال بالكف عن الضرب فى هذا الوقت . وهكذا انقضى ذلك اليوم المشئوم .

وقد بلغت خسائر الانكليز فى هذا اليوم ٦ من القتلى و٢٧ من الجرحى ، وسيأتى فى تقرير الأميرال أن القتلى ٥ والجرحى ٢٨ فلعل أحد الجرحى أدركته الوفاة ، أما قتلى المصريين وجرحاهم فيتعذر علينا معرفة عددهم بالضبط . وقد قدرهم استون باشا رئيس أركان الحرب العام بالجيش المصرى بنحو ٧٠٠ جندى .

والذخيرة التى استهلكها هذا الأسطول كان مقـــدارها جسيما حتى أن المدرعات الكبيرة كانت فى آخر النهـــار قد استنفدت ذخيرتها ولولا وصـول النقـالة همبر Humber فى غــد ذلك اليوم مشحونة بالذخـــيرة لتعذر على معظم سفن الاسطول الاستمـرار فى الضرب .

وهاك مااستهلكه الأسطول من أنواع الذخائر :—

٢١٩٨	من قـــذائف المدافع الكبيرة
٧١٠٠	من مظاريف مـــدافع السريند (متريلوز جاتلنج)
١٦٢٢٣	» » » نوردنفلت
١٠١٦٠	» » بنـــادق مارتينى هنرى
٣٧	» الصـــواريخ (السواريخ)
١٣١٨٥٦ رطلا	» البارود

أما مقدار مانفد من ذخيرة المصريين فقد تعذرت معرفته أيضا .

ونورد هنا بعض الأخبـــار التى كانت تذيعها جريدة الطائف لصاحبها عبد الله نديم عن ضرب الاسكندرية على سبيل المثال للأخبار التى كانت تنشر على المصريين عن هذه الحرب ، وهى :—

يوم الثلاثاء ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩هـ (١١ يوليه سنة ١٨٨٢م) فى الساعة ١٢ عربية (الساعة ٧ افرنجية) صبـــاحا اطلق الانكليز النار على حصون الاسكندرية فردنا عليهم .

وفى الساعة ٢ عربية (الساعة ٩ افرنجية صباحا) غرقت مدرعة أمام حصن الأطة .

وفى الساعة ٦ عربيـــة (الظهر) غرقت سفينتان بين قلعـــة قايتباى وحصن العجمي .

وفى الساعة ٧½ عربية (الساعة ٢½ افرنجية مساء) غرقت سفينة حربية من الخشب عليها ثمانية مدافع .

وفى الساعة ١٠ عربية (الساعة ٥ افرنجية مساء) أصيبت المدرعة الكبيرة بقذيفة من قلعة قايتباى أتلفت بطارياتها فرفعت العلم الأبيض إشارة إلى الكف عن اطلاق المدافع عليها . فامتنع الضرب من الجانبين بعد أن استمر عشر ساعات متوالية . وتخربت بعض جدران الحصون ولكنها أصلحت ليلا . والطلقات والقنابل التى اطلقت من الجانبين بلغت نحو ستة آلاف وهـــذه أول مرة أطلق فيها عدد كبير من المقذوفات مثل هذا فى وقت قصير كهذا .

وما من جندى فى العـــالم كان يستطيع أن يقف بثبـــات فى مركزه رابط الجأش أمام نار محتـــدمة كما وقف المصريون أمام نيران ٢٨ سفينة حربية مدة عشر ساعات .

* * *

هذه أمثلة من الأخبـــار التى كانت تذيعها هذه الجـــريدة . وهى كلها مفتراة وياللأسف ، وليس فيها مثقال ذرة من الصحـــة اللهم إلا الفقرة الأخيرة .

التلف الذى حــــل بالحصون

١ — حصن السلسلة ـ قذف هـــذا الحصن المدرعـــة تمرير بيضع قذائف محكمة بينما كانت تهاجم قلعة قايتبـاى ولم تجاوبه المدرعة المذكورة . فبقى الحصن سليما بعد انتهاء القتال ولم يمس بسوء .

٢ — قلعة قايتباى ـ أصيبت واجهتها الشمالية الغربية إصـــابات شديدة من مقذوفات الاسطول . وتخربت حيطان ملاذها (كهفها) فى عدة مواضع . ودخلت بعض قذائف الاسطول من كوانهـا المعدة لاطلاق المدافع . وانفجرت فى داخل هذه القلعة فأوقعت أربعـة من مدافعها . وأتلفت ثلاثة مدافع أخـــرى بالأنقـاض التى ســـدت كوات هذه المدافع ووقفت حركة مدفع عيار ١٠ بوصـــات من مدافع بطارية الطبقة العليا من هذه القلعة بسبب انهيـار أنقاض القصر العتيق الذى كان هذا المدفع مستندا إليه . وقلبت إحدى قنـــابل الأسطول مدفعا آخر عيار ٢٥ سنتيمترا من مدافع الطراز القديم .

أما الواجهة الغربية من هذه القلعة فقـــد دمرت عن آخرها وفتحت فيها ثغرة كبيرة كشفت المدافع وجعلتهـا فى العراء . فأصيب اثنان من هذه المدافع وأصبحا لايصلحان للعمل .

ولم تشترك مدافع الواجهتين الشرقية والجنوبية فى القتـــال ، ولكن رغم ذلك سقط مدفعان من مدافع الواجهة الجنوبية بضربة جنبية .

٣ — حصن الأطة ـ لم تشترك واجهتـــه الشمالية الشرقية

فى القتال ولم تصب بضرر .

وقد أصيب أحد المتاريس المشرفة على واجهته الشمالية الغربية بنحو عشرين قذيفة ، منها اثنتا عشرة دخلت دخـــولا عميقا ولكنها لم تنفجر . والأخريات انفجرت انفجارا هائلا فأحدثت تلفا كبيرا . وأصيب فيه مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة فانقلب . وأصيب متراس آخر بقذيفتين أصابت احداهما مدفعـــا من المدافع القديمة عيار ٢٥ سنتيمترا . واقتلعت قنبلة مدفعا من بطاريته الوسطى . وبطلت حركة مدفع آخر بسبب انهيـار انقاض منحدره العلوى القائم عليه الساتر على أثر اصابته بقنبلة .

وأصيبت الواجهـــة الجنوبية منه بقـذيفـــة مرت فوقه ففتحت ثغرة واسعة .

أما مســـتودع باروده الذى انفجر وكان انفجـــاره سيأ فى اخلاء هذا الحصن فقد كان مقاما فى موقـــع غير صالح ولم يكن تقيـــه أية وقاية .

٤ — حصن الاسبتـــالية — أصيب هـذا الحصن إصابات كثيرة فتخرب بنـــاؤه فى نواح عديدة وخصوصاً الناحيـــة الشمالية ولكنه مع ذلك بقى يطلق مدافعه التى شوهـد على أحدها بعـــد انقضـــاء المعركة أكثر من تسعة وأربعين أثراً من آثار قذيفـــات الشرابنـــل (وهى نوع من القذائف محشو بالرصاص) . وكان بعض

هذه الآثار بل كثير منها يزيد عمقه عن سنتيمتر .

٥ — حصن رأس التين — أصيبت بطاريته الوسطى بقذائف كثيرة كان بينها سبع قذائف دخلت من كواته . وأصيب مدفع من مدافعه من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة حطمت محور عجلته فأمسى غير صالح للاستعمال . وأصيب مدفع آخر من طراز أرمسترونج عيار ٩ بوصات فى قاعدته وصار أيضاً غير صالح للاستعمال لانهيار أنقاض كوته .

وأصيبت بطاريات برجه بست قذائف دخلت من كواته وأصابت احداها مدفعاً من طراز أرمسترونج غير أنه بقى مع هذه الاصابة يوالى الضرب . وأصيب مدفع آخر من طراز ارمسترونج ايضاً بقذيفة انفجرت فى وسط عجلته فصيرته غير صالح للاستعمال . وتفكك مدفعان من البطاريات الوسطى أحدهما حدث تفككه من رجوعه الى الخلف ، والآخر على أثر اصابته بقذيفة .

٦ — حصن الفنار — أصيبت الواجهة الغربية منه بعطب شديد من نيران الأسطول الخارجى . فقد انصدمت هذه الواجهة بقذيفتين أحدثتا فيها ثغرة عرضها ٤٫٥٠ من الأمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتار . وحفرت أربع قذائف ثقوباً قطر استدارتها نحو ٢٫٥٠ من الأمتار . وصدمت أربع قذائف أخرى الكوات (المزاغل) . وأصابت قذيفة اطلقت فى اتجاه منخفض ، قمة الساتر فأطارتها على

طول ٣٫٦٠ من الأمتـار . واحـدثت أربع عشرة قذيفـة أضراراً غير خطيرة . وانقلع مدفع على أثر تراجعـه . وأصيب مدفعـان من القذائف بعطب شديد وأمسيـا غير صالحين للاستعمال فقد انفجرت قنبـلة تحت أحدهما فقلبته ، وحطمت أخرى أوتاد المدفع الثـانى وقلبته أيضـاً . وكف مدفـع آخر عن الضرب على أثر تخريب كوته . وأصيب مدفـع من طـراز أرمسـترونج بضربة عكسية صيرته غير صالح للاستعمال .

٧ — حصن صالح أغا — هاجمت هذا الحصن الواقـع فى الداخل المدرعتـان مونارك وبنلوب فترة يسـيرة فى آخر النهـار وأصيبت ستـائره بأضرار طفيفة وتفكك مدفع قديم من مدافعه .

٨ — حصن أم قبيبـة — قامت بمهـاجمته المدرعـة انفلكسيبل وهى على بعد ٣٥٠٠ متر منه وقد عادت عليها مهاجمتها له بالفائدة إذ أصـابته بثلاث عشرة قذيفـة ألحقت به أضرارا جسيمة ـ صدمت اثنتان منها منحدر جدار الخندق الخارجى فألقت فيه كتلة من الأنقاض تمكن الانسان من النزول فيه بسهولة . وصدمت اثنتان أخريان جدران الخندق من ناحية الحصن وفتحت كلتاهما ثقبا يمكن الدخول منه . واثنتان حفرتا عند انفجارهما الذى كان على عمق كبير فى أرض الساتر ثقوبا قطرها ٥ أمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتـار . وصدمت اثنتان الساتر بالقـرب من الكوات من جانب السطح وصـيرت احداهما أحد المدافع غير صـالح للاستعمال . وألحقت الخمس القذائف

الأخرى بالحصن خسائر أقل جسامة كان من بينها أيضا حفرتان يتراوح قطر الواحدة منها بين ٢ و ٣ أمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتار ، كما أن الأحجــار والأتربة التى نثرتها القــذائف غطت المدافع وقصمت قنبلة مدفعـــا عيار ١٦ سنتيمترا نصفين . ومدفع آخـــر سقط عند تراجعه .

ووجد فى فناء هذا الحصن عدد كبير من المقذوفات لم ينفجر .

٩ — حصن المكس ـ تفكك مدفع من مدافعه المنصوبة حـــول برجه على أثر اصابته بقذيفة ، وسقط مدفع آخر عنـــد تقهقره . وأصيبت بطاريتـه الوسطى المؤلفة من مدفعين ضخمـين من طراز ارمسترونج بنحو اثنتي عشرة قذيفـــة . وأهم الخسائر التى أحـــدثتها هذه القذائف ثلاث حفائر قطر كل منها نحو ٣ أمتـــار . وأصيبت بطاريتاه الأخريان ببعض المقذوفات . أما مبـــانيه القائمة فى الخلف فهى التى لحقها التلف أكثر من غيرها من جراء ضرب السفن .

وكان داخل هذا الحصن بعد المعمعة مفعما بالأحجار . وإنه ليتعذر على المـــرء أن يدرك لِمَ لم يسقط مدفع مامن مدافعه فى غضون المعركة رغم قصر المسافة التى كانت بينـــه وبين البوارج الحربية ورغم نيرانها الفتـــاكة التى أصلته بهـــا . غير أن المدرعة بنلوب أسقطت بعد ذلك مدفعا واحدا فقط لم تتمكن من اصابته إلا فى الطلقة الثالثة عشرة .

وأصيبت مدافعه الأخرى بشظايا المقذوفات فلم تلحق بها إلا أضرارا تافهة . وبعد جلاء جنوده عنه نزلت شرذمة من الجنود الانكليز إلى البر ومعها أدوات النسف (طربيد) ونسفت مدفعيه الضخمين وسمرت مدافعه الأخرى .

١٠ — قلعة المكس — أطلقت على حيطانه مقذوفات كثيرة العدد وقد تركت بها آثاراً وانفجرت احداها بالقرب من مؤخرة مدفع أرمسترونج وأصابت جنود المدفعية ولكن لم يحدث ضرر كبير للمدافع ولا للتحصينات .

١١ — حصن الدخيلة — لم ينله ضرر ما غير أن مدفعين من مدافعه انقلبا عند تقهقرهما . ومستودع البارود الذى كان خلفه أصيب بقذيفة ونسف كما ذكرنا ذلك آنفا

١٢ — حصن المرابط — كانت مهمة ركنه الذى فى الشمال الشرقى أن يقاوم السفينة كندور وسفن المدفعية . وقد أصيب منحدره بنحو عشرين قذيفة تركت فيه آثارها غير أن الاضرار التى حدثت كانت طفيفة . وأصاب واجهته الشمالية الشرقية بعض مقذوفات من السفن التى كانت فى الخليج الداخلى كانت أكثرها من مقذوفات المدرعة مونارك ولكن المدافع التى بهذه الواجهة لم ينلها ضرر . واشتعلت النار فى بناية صغيرة بالقرب من مستودع كبير يجاوز ارتفاعه ارتفاع ساتر هذا الحصن به مقدار كبير من الذخيرة ولكن النار لم تمتد اليه . ووجد بفناء هذا الحصن عدد كبير من

المقذوفات لم ينفجر .

١٣ — حصن العجمى — هذا الحصن لم يشترك فى القتال .

خســـائر الأسطول

١ — المدرعة سلطان — أصيبت بثلاث وعشرين قذيفة وكانت إصابات مدخنتها وسارياتها شديدة وأصابت بعض هذه القذائف زرخها (درعها) فى موضعين وقد أحدثت واحدة منهـا فى أسفل قنطرة بطاريتهـا شرخا يبلغ ٤٥ سنتيمترا . واخترقت قذيفتـان أو ثلاث جـدرانها غـير المدرعة وكان عدد قتـلاها اثنين وجرحاها ثلاثة .

٢ — المدرعـة سوبرب — فاقت خسائر هذه المدرعـة خسائر اخوانها . فقد أصيبت فى جدرانها بعشر إصابات . واخترقت قذيفتان درعها . وفى أحد مواضع اصابتهـا انتزعت القذيفـة عند انفجارها جزءا من درعها . وكذلك أصيبت مدخنتها .

٣ — المدرعـة انفنسيبل — أصيبت بثلاث عشرة قذيفـة فى جدرانها وآلاتها . واخـترقت ست منهن الجزء غـير المدرع منها .

٤ — المدرعة الكسندرا — أصيبت بثلاثين إصابة فى جدرانها وآلاتها . وبأربع وعشرين إصـابة اخترقت جدرانها فى أجـزائها غير المدرعة فأحدثت بها اضرارا بالغة فى القنطرة الداخلية وفى غرفها

وغيرها . وأصابتها أيضا قذائف وقنابل كثيرة فى الجـــزء المدرع منها ولكنها على كثرتهـا لم تحدث فيه ضررا يذكر . وتلف مدفعان من مدافعها دون أن يصابا من جـــراء كثرة استعمالها فى الضرب . أحدهما عيار ١٠ بوصات أو ٢٥ سنتيمترا ووزن ١٢ طنا والآخـــر عيار ١١ بوصة أو ٢٧½ سنتيمتر ووزن ٢٥ طنا . أما خسائر جنودهـا فقتيل واحد وجريحان.

٥ — المدرعـــة پنلوپ — سقط أحد مدافعهـــا وجـرح من جنودها اثنان .

٦ — المدرعة انفلكسيبل — أصيبت بقنبلة فى جزئها الغاطس (تحت خط الماء) من مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات وهو أكبر عيار فى مدافع الحصون المصرية . وكادت هذه الاصـــابة تغرقها لولا اسعافهـا . وقد ذهبت بعد المعركة إلى مالطة لاصلاحها . ولم تذكر إصابتها هذه فى التقارير الرسمية التى قدمت للحكومة الانكليزية بل عمل عنهـــا تقرير سرى للأميرالية ولم يذع . وكانت خســـائر جنودها قتيلا واحدا وجريحين .

* * *

تقارير الأميرال سيمور عن ضرب الحصون

وقد رفع الأميرال سيمور ثلاثة تقارير عن ضرب حصون الاسكندرية فى ١٤ و ١٩ و ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ . وها هى : —

(١)

من ظهر البارجة انفنسيبل فى ١٤ يوليه سنة ١٨٨٢

إلى سكرتير الأميرالية

سيدى

لى الشرف بأن التمس منكم أن تتفضـــلوا وتخبروا اللوردات مـنــــدوبى الأميرالية أننى لم أتمكن فى هذا الوقت مع الأسف من ارسال تقــــرير مفصل عن الهجوم على حصون الاسكندرية بسبب انشغـــالى بهذه المهمـــة الشاقة .

انه بسبب اخفاقى فى طلب الترضيــــة عن المسائل التى كنت كلفت بطلبها من حكـــومة مصر ، هاجمت فى ١١ الجارى البطاريات المنصوبة على واجهة الاسكندرية الشمالية والاستحكامات المقـــامة فى الشمال الغــــربى ونجحت فى اســــكات الحصون فى منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذى اعطيت فيه الاشارة بالكف عن الضرب.

وفى صبـــاح يوم ١٢ ثانى يوم الضرب أمرت تمــــرير وانفلكسيبل بأن تهاجما حصن فاروس . وبعد اطـــلاق مدفعين أو ثلاثة رفع علم الهـــدنة على حصن رأس التين فأرسلت عنـــدئذ ضابط أركان الحرب الاونورابل هدورث لامبتن Hedworth Lambton وكلفته باستجـــلاء السبب . ويؤخـــذ من تقـــريره أن كل ما فى الأمر خديعة تافهة عملت لاكتســـاب الوقت بلا مراء . وبمـــا أن

المفاوضــات قد فشلت لأن طلبي هو تسليم البطاريات الحـاكمة على ممر البـوغاز ـ أطلق مـدفع على سطح بطـاريات ثكنات (قشلاقات) المـكس . وعندئذ رفع علم الهدنة مرة أخرى . فأرسلت ضابط أركان الحرب المذكور ومعـه القومندان مورسن Morrison إلى الميناء على ظهر السفينة هلكن . ولمـا ذهب الى يخت الخديو (المحروسـة) وجـد أن طائفة هذا اليخت قد رحلت وعند ايابه بعد دخـول الليل أعلن أنه يعتقد أن المدينة أخليت من السكان .

وامس صباحا توغلت فى الميناء على ظهـر البارجة انفنسيبل ومعي المدرعتان پنلوپ ومونارك وأنزلت إلى البر فرقة لتضع يدهـا على رأس التين .

وأرانى متأسفـا لاضطرارى أن أخـبركم أن مـدينة الاسكندرية أصيبت بأضرار بالغـة من الحريق والنهب .

وفى السـاعة الرابعة و٤٥ دقيقة بعد الظهر وصل سمـو الخـديو الى سراى رأس التين وخصصت لحمايته ولاحتـلال شبه الجزيرة سبعمائة بحـار .

وفى العشية نزلت فرقة من البحارة إلى البر ومعها مدفع من طراز جاتلنج Gatling فطهرت بعض الشـوارع من العرب الذين كانوا يحرقون بيوتها وينهبونها .

ويجب عليّ أن أعرب عن اعجـابى الزائد بالسـلوك الذى سلكه الضبـاط ورجال الأسطول عند تأدية مختلف مهـامهم وأن

أثنى عليهم الثناء الجم . وأخص منهم بالذكر الـــكابتن ولتر هنت جرب ربان المـــدرعة سلطان وهو أقدم الضباط وقائد الأسطول الخارجي

ولقد قاتل المصريون قتال الأبطـــال بأقدام ثابتـــة وكانوا يجاوبون النيران الشـــديدة التي تصبها على حصونهم مدافعنـــا الضخمة الى أن قتل عـــدد كبير منهم .

وســـأرسل عما قريب على قـــدر الامكان تقريرا مفصلا وأصحبه بصور المراســـلات .

وتجـــدون صحة هذا بيانا بعـــدد القتلى والجرحى .

ولى الخ . . . ؟ بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القـــواد

قائمة القتـــلى والجرحى فى هذا القتـــال

القتـــلى		الجـــرحى	
عدد		عدد	
١	انفلكسيبل	٢	انفلكسيبل
١	الكسندرا	٣	الكسندرا
١	سوپرب	١	سوپرب
٢	سلطان	٨	سلطان
		٦	انفنسيبل
		٨	پنلوپ
٥		٢٨	

؟ بوشامب سيمور

(٢)

من ظهر السفينة هلكن فى ١٩ يوليه سنة ١٨٨٢

الى سكرتير الأميرالية

سيدى

لى الشرف أن ابعث لكم بالتفصيلات الآتية ليحيط اللوردات مندوبو الأميرالية بها علما .

انه عندما ورد لى تعريف (صورته طيه) من اللفتنانت سمث دورين Smith - Dorrien مضمونه أن مدفعين سينصبان عما قريب فى حصن السلسلة ، أرسلت بلاغا الى قائد الاسكندرية الحربى أعلنته فيه بأنى سأضرب الحصون عند شروق شمس يوم ١١ إن لم تسلم لى قبل هذا الوقت البطاريات المقامة على برزخ رأس التين وساحل الاسكندرية الجنوبى لأعطلها وبهذه الوسيلة أكون قد نفذت تعليمات اللوردات التى وردت الىّ فى ١٠ الجارى .

وفى الصباح المبكر من يوم ١١ شوهدت السفينة هلكن متجهة نحو المدرعة انفنسيبل التى كانت راسية فى ممر البوغاز ويخفق علمها على . وفى منتصف الساعة السابعة صباحا أخبرت هلكن بالاشارات أن على ظهرها ضباطا من المصريين يرغبون الاتصال بى . وقد قدم هؤلاء الضباط إلى بارجتى وهم ياور درويش باشا واثنان من المصريين وسلمونى خطابا من سعادة راغب باشا رئيس مجلس

النظار وناظر الخارجية (صورته طيه) يقول فيه انه مستعد لانزال ثلاثة مدافع فأخبرتهم أنه من المستحيل قبول مثل هذا الاقتراح وأرسلت إلى سعادته الرد بهذا المعنى (صورته طيه) .

ولما تيقنت أن الضباط وصلوا إلى البر آمنين أمرت باطلاق النار على الحصون فأتى الرد حالا بشدة من خطوط المكس ومن البطاريات المنصوبة على الطوابى التى وراء الشعوب التى بجانبي البوغاز ، ومن رأس التين ، ومن حصنى الأطة وفاروس .

ولما ظفرت باسكات الحصون فى منتصف الساعة السادسة مساء أعطيت الاشارة بالكف عن اطلاق النار .

وفى الصباح الباكر من يوم ١٢ بعد أن صوبت طلقتين أو ثلاثا على حصن فاروس رفع عليه علم الهدنة وعندئذ أرسلت ضابط أركان الحرب الاونورابل هدورث لامبتن الى الاسكندرية ليستطلع السبب فى رفع هذا العلم وزودته بتعليمات (صورتها طيه) فحواها أن يطلب بالنيابة عنى تسليم البطاريات المطلة على ممر البوغاز . وتجدون طيه اجابته التى لاتدع شكا فى أن الغرض الوحيد من ذلك لم يكن إلا حيلة لاكتساب الوقت . وعلى أثر ذلك نزلت الراية .

وصوبت طلقة أخرى على المرتفعات القائمة عليها بطاريات ثكنات المكس فارتفع العلم مرة اخرى فأرسلت اللفتنانت هدورث لامبتن والقومندان مورسن من ضباط السفينة هلكن الى يخت

المحروسة الخاص بسمو الخديو فلم يعثرا على أحد فيه وأعطيا إشارة بأن المدينة أخليت . ولما رجعت هلكن كان الليل قد أرخى سدوله .

وعندما أشرقت شمس اليوم وأخذ الأسطول يتحرك دخلت الميناء فتبينت أن النار كانت مشتعلة فى مواضع شتى من المدينة ومن جملتها سراى الحريم فى قصر رأس التين وأن الجنود أخلت الحصون .

ووقتما علمت من مصدر يوثق به تمام الوثوق أن جنود عرابى لم تخل المدينة بل ذهبت للاقامة قرب عمود السوارى لتنتظر نا على مايقال هناك رأيت أن من واجباتى استعمال الحكمة فأنزلت فصيلة من المدرعة انفنسيبل وأخرى من مونارك بقيادة الكابتن فيرفاكس Fairfax بقصد تسمير أو نسف المدافع المنصوبة بين القبارى وصالح وهى المدافع التى كانت تصوب طلقاتها على الميناء . وكان هذا العمل منى من الاحتياطات الأولية .

وفى خلال القيام بهذه الاحتياطات أرسلت سفن المدفعية الى المدرعات الراسية خارج الشعوب المجاورة لجانبى البوغاز لتستحضر منها عساكر البحرية فاحتلت سراى رأس التين نفسها وسمرت عددا كبيرا من المدافع التى كانت تسدد طلقاتها على سفننا . وقبيل هذا الوقت زارنى احمد توفيق افندى ياور سعادة درويش باشا وبمعيته أمير الألاى زهران بك ياور سمو الخديو وكان قادما من سراى الرمل الواقعة على بعد أربعة أميال تقريباً من الاسكندرية ليسألنى إذا كنت مستعداً لأن آخذ على عاتقى قبول الخديو لأن

الحالة تدعو الى الخوف على سلامته بسبب الألايات الثائرة التي تحيط به . فأظهرت فى الحال استعدادى لبذل مايفيد سموه . وقبيل الساعة الرابعة مساء تشرفت باستقبال سموه عند باب السراى التى لم تصب لحسن الحظ من نار السفن الا بضرر طفيف فى يوم ١١ .

ولى الخ ... ؟ الامضاء

بوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القواد

(٣)

من ظهر المدرعة انفنسيبل بالاسكندرية فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢
إلى سكرتير الاميرالية .

سيدى

الحاقا لبيانى المفصل والمؤرخ فى ١٩ الجارى أتشرف بان أرفع لكم - لأحاطة اللوردات بما سيذكر بعد - تقريرا آخر أكثر تفصيلا من البيان المذكور الذى تيسر لى ارساله عن القتال الذى دارت رحاه بين الأسطول الذى تحت قيادتى والحصون المدافعة عن الاسكندرية .

لقد سبق أن قررت كما يتبين من بيان ترتيب القتال المصحوب بهذا والذى سلمت منه نسخة إلى كل ربان أن أجعل الهجوم قسمين - قسم تقوم به سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا على جانب

رأس التين الشمالى وتعاونها فى ذلك المدرعة انفلكسيبل التى كانت راسية فى مدخل ممر البوغاز الصغير باطلاق مدافع برجها الخلفى حتى تستطيع بذلك اسكات بطاريات حصن الفنار من الجنب . والقسم الآخر تقوم به انفنسيبل ، وموناركـ ، وبنلوب من داخل الشعوب وتعاونها فى ذلك الانفلكسيبل باطلاق مدافع برجها الأمامى وكذلك المدرعة تمرير التى اتخذت مقرها بجوار الشمندورة التى بواسطتها يستدل على مدخل البوغاز .

وانفصلت كل من السفينتين هلكن وكندور لأنهما كانتا من سفن الاعادة . أما السفن بيكن ، وبترن ، وسينت ، ودكوى فقد استخدمت حسب الأوامر التى كانت قد أصدرت إليها للأشارات طول يوم الضرب .

وفى يوم ١١ يوليه فى الساعة السابعة صباحا أمرت البارجة الكسندرا بالاشارة من ظهر انفنسيبل أن نرسل قذيفة إلى الستائر الحديثة التى كان قد تم إصلاحها وسلحت ويقال لها بطارية الاسبتالية وأردفت هذا الأمر باشارة عامة إلى الاسطول أن « هاجموا بطاريات الأعداء » . فتبودل الضرب فى الحال بين السفن وهى فى المواقف التى رسمت لها وجميع الحصون المشرفة على مدخل ميناء الاسكندرية واستمر اطلاق النيران بشدة من الجانبين ومن كل صوب وناحية إلى منتصف الساعة الحادية عشرة صباحا . وكانت المدرعات سلطان وسوبرب ، والكسندرا إلى هذه الساعة رافعة مراسيها فألقتها

فى مياه حصن الفنار . وبقذائفها المحكمة مع معاونة المدرعة انفلكسيبل لهـــا بعد أن رفعت مرســـاتها وانضمت إليها فى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر ، نجحت فى اسكات معظم مدافع حصون رأس التين . ولكن بعض مدافع حصن الأطة الضخمة بقيت مستمرة فى الضرب إلا أنه كان ضربا غير متواصـــل . وقبيل منتصف الساعة الثانية قذفت المدرعة سوبرب ـ وكانت حركاتها من بعد الظهر موفقة جدا ـ قنبلة على هذا الحصن فنسفت مستودع باروده فاضطرت بقية حاميته إلى الانسحاب حالا . وعندئذ وجهت هـذه المدرعات قوتها إلى حصن فاروس فأسكتته بعد أن انضمت إليها فى منتصف الساعة الثالثة المدرعة تمرير وكان ذلك عندما قذفته المدرعة انفلكسيبل بقذيفة أوقعت مدفعا من مدافعه الضخمة .

وكانت حركات بطاريات حصن الاسبتاليـــة من البداية الى النهاية تســـاس بطريقة موفقـــة جداً . ومع أن هذا الحصن أسكت وقتـــاً ما على أثر ضربه بقذيفة من المدرعة انفلكسيبل فان جنوده لم يتخلوا عن مدافعهم إلا بعـــد أن أكرهتهم نيران مـــدافع هذه المدرعة والأسطول الخارجى على التخلى عنهـــا .

والمدرعة انفنسيبل التى يخفق عليها علمى بمساعدة المدرعة بنلوپ وكانت الاثنتان ملقيتين مراسيها غير أن الأخيرة غيرت مرساها فى ظرف من الظروف . والمدرعة مونارك الطليقـــة داخل منطقـــة الشعوب والمدرعتـــان انفلكسيبل وتمرير الطليقتـــان فى البوغاز ومدخـــل البوغاز الصغير ، قـــد نجحت كل هذه المدرعات بعـــد اشتبا كها فى

قتال دام بضع ساعات فى اسكات بطاريات خط المكس وتخريب جزء منها .

ودمر حصن مرسى القناة على أثر انفجار مستودع بارودة وبعد قتال مع المدرعة مونارك دام نصف ساعة .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر عندما شاهدت أن جنود مدفعية البطارية المنخفضة التى فى الجهة الغربية من المكس تركوا مواقعهم وأنه من المحتمل أن يكون المساعدون انسحبوا إلى القلعة أحضرت السفن والمدفعيات وتحت حماية طلقات مدافعها أنزلت إلى البر فصيلة مؤلفة من اثنى عشر من الجنود المتطوعين بقيادة اللفتنانت برادفورد Bradford من ضباط المدرعة انفنسيبل وبمعيته اللفتنانت رتشارد يور Richard poore من ضباط هذه المدرعة أيضا واللفتنانت الاونورابل هدورث لامبتن ضابط اركان الحرب والماچور تلك من الآلاى ولش الذى بأركان حرب أميراليتى والاسيران مستر هاردى Hardy . وهؤلاء جميعا نزلوا فى زوارق سارت بهم فى وسط الأمواج وأتلفوا مدفعين من نوع الششخانه عيار ١٠ بوصات بالديناميت وسمروا ستة مدافع من الطراز القديم كانت مقامة بالجهة اليمنى من المكس . ثم رجعوا ولم يخسروا الا زورقا من زوارق السفينة بترن تحطم على الصخور . وهذا العمل يعد ضربا من المخاطرة ولكنه تم بمهارة فائقة .

وعند ما أضحى القتـــال عاما رأى القومندان لورد تشارلس برسفورد Lord Charles Beresford من ضباط السفينة كندور القائمة بوظيفة الاعادة أن مـــدفعين من مدافع حصن المرابط من نوع الششخانه عيار ١٠ بوصـــات يصـــوبان قذائفهما الى السفن المحاربة التى أمام حصن المكس فاقترب بسفينته الى المســـافة التى يتمكن منها مدفعها الذى عياره ٧ بوصات ووزنه ٩٠ قنطارا من اصابة المرمى وحول حالا وجهـــة ضرب المدفعين المذكـــورين . فأمرته وقتئذ أن يستمد معـــونة السفن بيـــكن ، وبترن ، وسينت . وكانت سينت اشتبكت قبل الظهر بقليل مع حصون رأس التين .

وأرانى سعيـــدا اذ أخبركم بأن هـــذه السفن لم تصب بأى ضرر وذلك بفضل ما أبدته من المهارة فى مناوراتها . وقد سوغ لها قصر غاطسها ـ من حسن الحظ ـ أن تتخذ لهـــا موقفا أمام أضعف نقط بطاريات الحصـــون .

وانتهت الحرب بالفـــوز فى منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذى القت فيها السفن مراسيها لقضاء ليلتها .

ولو استعمل كل مـــدفع من المدافع المنصوبة على خـــط التحصينات لكانت القـــوة التى صادمتنا أشد هولا وأكثر رهبـــة . ولكن بطاريات رأس التين استخدمت قليـــلا من المدافع من الطراز القديم وأقل منها من المدافع الفرنسية عيار ٣٦ . وهذه المدافع مشتراة من عهد محمد على لأن المصريين يؤثرون استعمال المدافع الانكليزية عيار

١٠ و ٩ و ٨ بوصات . وأيضا المدافع الانكليزية الصغيرة من طراز الششخانة . وهـــذه المدافع هى بالضبط نفس المدافع المسلحـــة بها سفن جـــلالة الملكة . ولا يمكن العثـــور على أفضل من هـــذه المدافع بين المدافع التى تعبأ من فوهاتها . وكانت المدافع المصرية مزودة بقذائف من أحدث طراز . واستخدمت ذخيرتها بكثرة لدرجة الاسراف. وكان تصويب المدافع يدعو الى الاعجاب ويمكن أن يقال ذلك أيضا عن مدافع خطوط المكس لولا أنها استخدمت اكثر المدافع من عيار ٣٦ ومدفعا أو اثنين من عيـــار ١٥ بوصة من طراز الششخانة فضلا عن المـــدافع التى من عيار ١٠ و ٩ بوصات والمدافع الصغيرة الششخانة .

واستعمل حصن المرابط مـــدفعين من مـــدافع الششخانة ذات المرمى البعيـــد عيار ١٠ بوصات وكان كل واحـــد منهما يرمى قذائفه تلو الآخـــر فى اتجاه الاسطول الراسى قريبـا من الشـــاطىء والمصطف بكيفية تدعـــو الى الاعجاب فتخطىء المرمى بمسافة تتراوح بين ١٠ و ٣٠ ياردة .

ولم تنفجـــر أية قنبلة من القنابل التي قذفتها بطاريات الجنوب على ظهر سفن صاحبة الجلالة فى خلال اليوم . وتجدون صحة هـذا تقريرا رسميا مقدما من الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان لعرضه على أصحاب السعادة الأميرالية . وقد تولى هذا الكابتن قيادة الاسطول الخارجى فقام بهذا العبء بكفاءة وجدارة تستوجبان الاعجاب . فقـــد تلقى هذا الاسطول ويلات الحـــرب كما يؤيد ذلك تمام التأييد البيان

الذى مع هذا الخـــاص بالأضرار التى لحقت المــدرعات سلطان، وسويرب، والكسندرا . وليس لدى ما أقوله عن الأضرار التي حلت بالمــدرعة بنلوب . فهذه البارجة انفصلت عن اسطولى بعد أمد قليل . والجزء العلوى من بنــاء المدرعتين انفنسيبل وانفلكسيبل أصابه أكثر من قذيفة غير أنه لم يترتب على ذلك ضرر جسيم .

وأرانى عاجزاً عن أن أوفى جميع الضبــاط الذين قادوا السفن ما يستحقونه من المدح والثنــاء على ما أولونى من المعونة فى هذه الظروف ويجب على أن أخص بالشــكر الــكابتن هنت جرب الذى قام بقيــادة الأسطول الخارجى والذى أريد أن ألفت اليــه أنظار أصحاب السعادة الأميرالية . ويسرنى أيضــاً أن أشكر الكابتن ثوماس وورد Thomas Ward من ضباط المدرعة سويرب والكابتن تشارلس هوثام Charles Hotham من ضباط المدرعة الكسندرا وكلا الاثنين تابــع للأسطول الخــارجى . والكابتن هنرى نكولسن Henry Nicholson من ضباط المدرعــة تمرير . وجون فشر John Fisher من المدرعــة انفلكسيبل « الذين أدوا خارج البوغاز الأعمال التى عاونوا بها الأسطول الواقف بجوار الســاحل وساعدوا بعد ذلك على الهجوم الموجه نحو الشمال » . والكابتن هنرى فيرفاكس Henry Fairfax من ضباط المدرعــة مونارك ، والكابتن سان جورج دارسى إرفين St. George D'Arcy Irvine من ضبــاط المدرعة بنلوب ، وروبرت مور ملنو Robert More Molyneux للسلك

الذى سلكوه فى تأدية واجباتهم على اختلافها .

والقومندانات جورج هاند George Hand أقدم الضباط الذين فى رتبته ومن ضباط بيكن . ولورد تشارلس برسفورد من ضباط السفينة كندور . وتوماس براند Thomas Brand من ضباط بترن . واللفتنانت هغ ريدر Hugh Ryder قومندان السفينة سينت . وهذا الضابط له فى الخدمة أكثر من ١٥ سنة . واللفتنانت ارثر بلدرو Arthur Boldero قائد السفينة دكوى . وجميعهم ضباط جديرون كثيراً بالترقية . والمهمة التى ألقيت على عواتقهم قبل الحرب وبعد الحرب كانت شاقة جدا . إذ من المعلوم أنهم قاموا بالمواصلات بين السفن الواقفة داخل وخارج منطقة الصخور . وكثيراً ما كانوا يقومون بهذه الخدم فى جو مكفهر وفى أثناء الليل حيث تستدعى الحالة مزيد الانتباه فى المناورات والمعرفة التامة بادارة السفن .

كما يبهجنى أن أدلى باسم اللفتنانت وليم مرسن William Morrison من ضباط السفينة هلكن . فلقد تعرض هذا الضابط اكثر من مرة لنيران بطاريات الشمال حينما كان يعيد الاشارات التي كنت أعطيها وهو على ظهر سفينة لم تبن لأغراض حربية وعلى العموم أرى نفسى مديناً لضباط وجنود الأسطول بوجه عام فانهم كللوا هذا الكفاح بالنصر وختموه ختاماً سريعاً .

ولقد لفت نظرى بوجه خاص الكابتن هوثام من ضباط

المدرعة الكسندرا الى عمـــل مجيد قام به مستر اسرائيـــل هاردنج Israel Harding من جنود مدفعية الكسندرا . ذلك انه رفع قذيفة ملتهبة عيار ١٠ بوصات اخـــترقت جنب السفينة وسكنت فى القنطرة الرئيسية ووضعهـــا فى وعاء الماء ، الأمر الذى لولاه لكان من الجائز أن تنفجر وتودى بحياة عدد كبـــير من الجنود . وقد لفت نظرى أيضا إلى سلوك القومندان الان توماس Alan Thomas من المدرعة الكسندرا الجدير بالمدح والثناء طول هـــذا اليوم . وانى لواثق كل الوثوق بأن هذا الضابط وهسكنز Hoskins قومنـــدان أركان حرب السفينة التى يخفق عليهـــا علمى . وهو الذى كتب عنـــه الكابتن هنت جرب تقريرا . نعم . انى لواثق أن هذين الضابطين لايتأذيان من غيـــابى الاضطرارى عن هذه السفينة . وكافة الربابين يوجهون عبارات المـــدح المستطاب والثناء الجم الى ضباطهم والى المـــلاحين لحسن سلوكهم .

ويستحيل بالكلية أن أبين بالتفصيل الأضرار الطفيفة التى حلت بسفن جلالة الملكة فى خلال هذا الكفاح من القذائف والطلقات التى أصابتها أو أفصـــل كذلك العطب الذى منى به جسم البوارج سوبرب ، وسلطان ، والكسندرا ، ولاعطب المدرعات انفنسيبل وبنلوب ، وانفلكسيبل الذى هو أقل أثرا من عطب الثـــلاث الأول ولكنى أستطيع أن أعرب عن شديد أسفى لوفاة اللفتنـانت فرنسيس جاكسن Francis Jackson ومســـتر وليم شنن William Shannon

بحار المدرعة انفلكسيبل . ويؤخذ من الأخبـار الأخيرة عن الجرحى أن حالتهم آخـــذة فى التحسن وقد أرسلوا الى مالطة عــلى ظهر الباخرة همبر .

وتجدون صحة هـذا قائمة بأسماء فصيلة المتطوعـــين التى قامت بتسمير مدافع بطاريات المكس وكذلك أسماء ملاحى الزوارق .

بطولة رجال المـــدفعية المصرية

لقد أبدى كل الذين كتبـــوا عن حادث ضرب الاسكندرية الأليم بالاجمـــاع ثناءهم ، على رجال المدفعيـة المصرية لمـــا أظهروه فى ذلك اليوم من البسالة والشجاعة فى كفاح قوة لاتناسب بينها وبينهم .

وانى لم أشـــأ هنا أن أذكر فى التنويه بفضلهم إلا ما ذكره شهود العيـــان ومن بينهم خصومهم الذين حضروا القتـال وشهـــادة هؤلاء جميعا أوجه بالطبع من شهادة الذين لم يشهدوا هذه الحرب .

فلقد كان الانكليز يتخيلون قبل الدخـــول فى هذه الحرب كما اعترفوا بذلك فيما بعد أن اسكات الحصون أمر هين لـــين . وهـذا الاعتراف يهدم مخاوفهم على سفنهم من أساسها ، تلك المخاوف التى طالما ادعوها وتشبثوا بها . ولكن المقـــاومة التى لاقوها والثبـــات الذى أبداه جنود المـــدفعية المصرية فى ملازمة مدافعهم واستماتتهم بجانبهـا كل هـــذا أدهشهم وجعلهم ينطقون بالرغم منهم بالمـــديح المستطاب والثناء العاطر على هؤلاء الجنود الأبطال .

وأبدأ هذه الشهادات بشهـــادة الأميرال سيمور نفسه الذى قال فى تقريره المؤرخ فى يوم ١٤ يوليه سنة ١٨٨٢ للأميرالية البريطانية :ـ

لقد قاتل المصريون قتال الأبطـــال وثبتوا فى مواقعهم ثبات الشجعان وكانوا يجاوبون النيران الشديدة التى كانت تصبها عليهم مدافعنا الضخمة الى أن فنى بلا شـــك أكثرهم . ا هـ

وقال القومنـــدان هنت جرب قائد المـــدرعة سلطـــان وقائد الأسطـــول الخارجي فى تقريره للأميرال سيمور :ـــ

ولما وجدت أن الحصون أقوى مما كان يظن قبلا وأن جنود المدفعية المصرية لا يستهان بهم وانهم فى الواقع يحكمون الضرب ، رأيت من الصواب أن القى المراسى لكى احصل على المسافة اللازمة بالدقة . ا هـ

وقال القومندان جودريتش من رجال البحرية الامريكية الحربية الذى كان على متن السفينة الحربية الامريكية لانكاستر Lancaster ورأى كل ماحدث بعيني رأسه فى تقريره ص ٣٦ :ـــ

وجاوب المصريون رغم التفـــاوت الذى كان بينهما من ناحية العدد ومن ناحية عيار المـــدافع على النيران المتدفقة من أفواه مدافع الاسطـــول الانكليزى اجابة مدهشة لم تكن متوقعـــة بتاتا بشجاعة تستوجب الاعجاب . وعنـــدما كانت المـــدرعة انفلكسيبل ترسل مقذوفات زنة كل منها ١٧٠٠ رطـــل على حصن الفنار وتصيب ساتره فتثير الانقاض والأتربة الى علو الفنار نفسه ويتخيل المـــرء عند ما

يرى ذلك أنه ليس فى الامكان أن يعيش أى انســان تحت نيران كهذه النيران ، لا يلبث بعد بضع دقائق عنـــدما ينقشع الغبار أن يرى جنود المدفعية المصرية ملازمين مواقفهم يطلقون قذائفهم على خصمهم الرهيب . ا ه

وقال الماچور تُلك من رجال قلم المخابرات (وترقى الآن الى جنرال) وكان على ظهر المـــدرعة انفنسيبل فى كتابه (ذكريات أربعين عاما فى الخـــدمة) ص ٢٨٦ :—

وبعـــد أن نزلت الى البر بزمن يسير طفت حول البطاريات التى بقرب رأس التين فوجـــدت منظر البعض منها ينفطر منه الفؤاد وسمعت فيما بعد من مصـــدر وثيق أن الخســـائر فى الارواح من جنود المـــدفعية ومن جنود البيـــادة الذين كانوا خلف الحصـــون بلغت أكثر من ثمانمائة . وقد وســـقت بالقتلى العربات فى أثنـــاء القتال . ولكن لمـــا كان عدد القتلى فى نهاية الحرب كبيرا جـــدا فتحت لهم حفرة واسعـــة فى رأس التين وألقيت أجســـادهم فيها ثم ووريت فى التراب . ومع هـــذه المواراة يستطيع الانسان فى عـــدة مواضع من هـــذه المقبرة أن يرى الطبقة العليـــا من هـــذه الأجســـاد ظاهرة على وجه الأرض . وقـــد سقط ساتر الحصن على بعض الجنـــود فأزهق أرواحهم وبقيت أجسادهم تحت الانقاض دون أن يستطيع أحـــد اخراجها . ووجدت جثة ضابط مصرى وجثث ستة من الجنـــود المصرية البواسل تحت مدفع انقلب بقذيفة .

وعنـــدى أنه لا يستطيع الا القليل من النـاس أن يؤدوا واجباتهم مثل ما أداها أولئك الجنـــود الذين كانوا فى الحصون فى ذلك اليوم . وليس فى مقـــدور الانسان أن يخفى دهشته وإعجابه من أن هؤلاء الجنود فى الحـــالة التى كانت فيها النيران تحيفهم من كل جهـــة أرادوا أن يرفعوا أحـــد المدافع من سقطته التى سقطها . وفى حالة أخرى وهم فى معمعة القتال حاولوا أن يرجعـــوا مدفعـا الى موضعـــه وهم تحت وابل من النيران .

وفى المكس كان يوجد ساتر من الرمال سميك تتوارى خلفه جنود المدفعية ولكن على طول امتداد البطـاريات الشرقية لم يكن يوجد إلا ستائر عتيقة من الأحجار فى قليل من المواضع ، والأنقاض التى تقوضت منها لابد أن تكون قد أحدثت خسائر جسيمة فى الأرواح . اه

وقال البارون دكيوزل بك Le Baron De Kusel Bey وكيل مصلحـــة الجمارك المصرية الذى كان على السفينة تنجور أمام الاسكندرية فى كتابه (ذكريات رجـــل انكليزى عن مصر) ص ٢٠٠ :—

لقد ثبت جنود المدفعيـــة المصرية فى مواقفهم أمام نيران المدرعات الانكليزية الهـــائلة الفتاكة ثباتا دل على بسـالتهم وبطولتهم . وظلوا يلقـــون القنابل باستمرار فتصيب أهدافها من هـــذه البوارج ـ الى أن قال فى هذه الصفحـــة أيضا ـ وليست المسألة مسألة ريبـة فى بطولة الجنود المصرية فلقد قاتلوا مستبسلين ، ولكن لم يكن لهم الالمام التـــام بسلاحهم ليجنوا من دفاعهم ولو بعض النجـــاح .

ولم ينقض الضرب إلا فى منتصف الساعة الثانية عشرة صباحا (أى من يوم ١٢ يوليه) لأن المصريين اذا كان لديهم مدفع فى أى موضع لم يكن قد سقط، استعملوه إلى أن يكره هذا المدفع على السكوت إكراها .اهـ

* * *

وقال مسيو سكوتيدس Scotidis وكيل قنصل اليونان فى الاسكندرية فى كتابه (مصر المعاصرة وعرابى باشا) ص ١٦٨ و ١٦٩ :—

وعند الطلقة الخامسة جاوبت بطاريات البر بنشاط وإحكام أدهشا الانكليز. وتقدمت البوارج الانكليزية، تلك المدرعات الضخمة، تسير ببطء واتخذت لها موقفا أمام الحصون وصوبت اليها نيران مدافعها فى مركز واحد. وقد كانت قذائفها الهائلة تدعو الى الظن بأنها ستدمرها تدميرا. ولقد كانت هذه القذائف تحطم المدافع الضخمة وتقلب قواعدها وتنسف مستودعات البارود وتحفر حفرا يقع فيها المصريون التعساء. وعندئذ تقترب شيئا فشيئا لتضعف قوة هؤلاء المصريين بتقويض حصونهم بطوفان من قذائف مدافع السربند المقامة على ساريات السفن.

وكانت قذائف المدافع المصرية تسقط فى البحر وهى فى منتصف الطريق فتثير عجاج الماء. والبعض الآخر يصطدم بمدرعات الانكليز الضخمة فيرتد عنها كأنها جسم من المطاط ويغوص فى

البحر . ومع هذا فلا ينبغى الا الاعجاب بما أبداه جنود المدفعية المصرية من البطولة والبسالة والثبات فى مواقفهم ورثاء أولئك الضحايا الذين راحوا طعمة للنار بطيش عرابى ورعونته وبجرأته التى أظهرها عبثا . وكان معظم الحصون بلا ساتر فقلبت القنابل من مدافعها ما كان أكثر قوة وأعظم خطرا وأحاطتها بالمئات من جثث القتلى . وفى خلال انتشار الدخان الكثيف الذى يسوقه النسيم فى بعض الأوقات كان هؤلاء الجنود الشجعان الذين كانوا يستطيعون أن يخدموا وطنهم فى ظروف أخرى ، يمثلون بحق الأبطال الذين يدفعون غارات الجبابرة . اهـ

هذه شهادات كلها صادرة من شهود عيان معظمهم من الخصوم وانها لأقوى برهان على أن ضباط وجنود ١ جى ألاى طوبجية سواحل قاموا فى ذلك اليوم الأسود المشئوم بما هو فوق الواجب فاستحقوا بذلك أكبر التقدير مع تخليد الذكر وعظيم الشكر . رحمهم الله وعزانا وعزى هذا الوطن الأسيف فيهم .

وإزاء ما قام به هذا الألاى من ضروب الشجاعة والأقدام والأخلاص للوطن لدرجة التضحية بآخر أنفاسه فى سبيل الذود عن حياضه ، رأينا تخليداً لذكرى أعمال ضباطه وجنوده المجيدة أن نثبت أسماء من عثرنا على أسمائهم منهم مع ذكر عددهم جميعاً فى الجدول الآتى ، وها هو كما استخرجناه من دفاتر دار المحفوظات المصرية :

١ جى الاي طوبجيـــة سواحل

عدد	عدد	الأسمــــاء	الرتب
	١	اسماعيـل بك صـبرى	أمير الألاى
	١	محمـــد بك نســيم	قائمقام الألاى
	١	عبد العال افندى ابو العلا	١ جى بكباشى
	١	سيف النصر افنـــدى	٢ جى »
	١	محمد افنـــدى شرمى	٣ جى »
	١	رأفت افنـــدى سرى	١ جى صاغ
	١	صبحى افندى هـاشم	٢ جى »
٨	١	محمـــد افندى رفعت	٣ جى »

أركان حرب وأطبـــاء وكتـاب وغيرهم

عدد	الأسماء	الرتب
١	محمد افنـدى سيد احمد	صـــاغ
١	ابراهيم افنـــدى كامل	»
١	محمـــد افندى نافعى	حكيمباشى الألاى
١	محمـــد افندى لمعى	ملازم اول اجزجى
١	محمد افنـدى حسب الله	» ثان تعليمجى الاشارة
١	محمـــد افندى محمـد	كاتب اول الألاى
٦		

٨

عدد

٨ ماقبـــله

عدد

٦ ماقبـــله (تابع أركان الحرب وغـــيرهم)

الأسماء	الرتب
١ رضوان افندى رضوان	كاتب ثانى الآلاى
١ مصطفى افنـدى الخـولى	« ثالث «
١ موسى افندى الوردانى	« رابع «
١ فـرج افنـدى عوض	« الأشغـــال المتأخرة
١ الشيخ محمد عبد العـال	امام وخوجه
١ الشيخ عبد الله ابراهيم	امام

١٥ ٣ توفتجيـــه

بلوك

عدد

١ مصطفى افنـدى مختـار	يوزباشى
١ احمد افندى قنـــديل	ملازم اول
١ حسن أفنـــدى مكى	« ثان
١ اسماعيل افنـــدى صبرى	« «

١٢٩ ١٢٥ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٨٤ ٨٤ صف ضباط وعساكر

٢٣٦

عدد

٢٣٦ ماقبـــله

بلوك

عدد	الأسمـــاء	الرتب
١	على افندى بهجت	يوزباشى
١	محمد افندى حامد	ملازم اول
١	محمود افندى خليل	« ثان
١	محمد افندى حلمى	« «
١	محمد افندى عبد الخالق	صـــول

١٣٢ ١٢٧ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٩٩ ٩٩ صف ضباط وعساكر

بلوك

عدد

١	احمـد افنـدى فهمى	يوزباشى
١	محمد افندى الموجى	يوزباشى
١	دهشان افندى عزى	ملازم اول
١	سليم افندى صائب	« «
١	غنيم افنـدى هدهد	« ثان

١٨١ ١٧٦ صف ضباط وعساكر

٦٤٨

عدد

٦٤٨ ماقبله

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٥٢ ٥٢ انفار

بلوك

عدد	الأسماء	الرتب
١	عبد الحميد افندى الجندى	يوزباشى
١	محمد افندى امين	ملازم اول
١	احمد افندى هادى	« «
١	سليمان افندى بهجت	« ثان

١١٧ ١١٣ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٧٦ ٧٦ أنفار

بلوك

عدد		
١	عبد الرحمن افندى نجيب	يوزباشى
١	محمد افندى نايل	ملازم اول
١	عبد الرحمن أفندى الشافعى	« «
١	محمود افندى رضى	« ثان
١	احمد افندى كامل	« «
١	على افندى خضر	صول

١٤١ ١٣٥ صف ضباط وعساكر

١٠٣٤

عدد

١٠٣٤ ماقبـــله

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٨٠ ٨٠ أنفار

بلوك

عدد	الأسمـــاء	الرتب
١	يوسف افندى صفوت	يوزباشى
١	حسانين افنـدى زغلول	يوزباشى
١	عرفه افندى احمـــد	ملازم اول
١	ابراهيم افنـــدى مسلم	» »
١	عبد القادر افندى خيرى	ملازم ثان

١٠٧ ١٠٢ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٩٤ ٩٤ صف ضباط وعساكر

بلوك

عدد		
١	على افنـــدى فهـمى	يوزباشى
١	عمـار افنـدى عـونى	ملازم اول
١	يوسف افندى سرى	ملازم »
١	احمـــد افندى فضلى	» ثان
١	محمـــد افنـدى عـلى	» »
٥		

١٣١٥

عدد

١٣١٥ ماقبـــله

عدد

٥ ماقبـــله

١٥٥ ١٥٠ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٣١ ٣١ أنفـــار

بلوك

عدد

١	مصطفى افنـدى حسين	يوزباشى
١	حسانين افندى زغلول	ملازم اول
١	ابراهيم افنـــدى مسلم	« «
١	عدوى افنـــدى حلمى	« «
١	حسن افنـــدى أنيس	« ثان

١٦٦ ١٦١ صف ضبـــاط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٦٣ ٦٣ صف ضباط وعساكر

صنـــايعية بلوك العمارة

عدد

٣٢ ٣٢ صف ضبـــاط وعساكر

١٧٦٢ المجموع الكلى

واليك نبذا صغـــيرة عن بعض ضباط هـــذا الألاى الذين أمكننا معرفة شىء عنهم تثبتهـا هنا طمعا فى أن يطلع عليهـــا المطلعون فيوافونا بما يكمـــل تاريخ حياتهم وتاريخ حـــياة من لم نعرف عنهم شيئا ولم نذكر عنهم نبذا :-

* * *

١ ـ أمير الألاي اسماعيل بك صبري

حضر حـــرب الحبشة سنة ١٨٧٥م ، وحـــرب الروسيا سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينـــة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م .

٢ ـ القائمقـــام محمـــد بك نسيم

هو والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم. حضر حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ م ، وحرب الروسيـــا سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينـــة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م . وترقى بعد الاحتـــلال الى رتبة أمير ألاى . وأحيل الى المعـــاش بناء على طلبه . ثم أنعم عليه برتبة الباشوية .

٣ ـ البكبـــاشى سيف النصر افندى

هو والد صـاحب العزة حمـــدى بك سيف النصر . حضر ضرب مدينـــة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م وترقى بعـــد الاحتلال الى رتبة قائمقام . وتوفى فى الخدمة وهو رئيس قرعة مدينة الاسكندرية .

٤ ـ الملازم الثانى احمـــد افندى فضلى

كان من أنجب تلاميذ المدرسة الحربية التى كانت تحت إدارة الجنرال لارمى باشا الفرنسى فى عهد الخـــديو اسماعيل وحضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وبعد الضرب وانسحاب جنود عرابى منها ، عين فى فرقة كفر الدوار . فنصب الجنود الانكليزية مدافعهم فوق الجبل المجاور لخزان الماء بالقرب من أبى النواتير . ويقال ان الخديو توفيق كان قد توجه الى تلك الجهـــة ليرى من فوق هذا الجبـل خـط نار العرابيين الذى كان بجهـــة عزبة خورشيد . فعندما أبصر احمد افندى فضلى بمنظاره تجمعهم فوق الجبل المذكور وكان لايعلم بوجود الخـــديو معهم ، أطلق عليهم قنبـــلة من مـــدفع كروب وقعت بجوار الخـــديو توفيق ولكنهـا لم تنفجر . وقد رُقى بعد الاحتـــلال الى رتبة لواء ثم أحيل الى المعاش وهو فى منصب مدير عموم القرعة .

٥ ـ الملازم الأول محمد افندى لمعى

هو ابن الشيخ عبـــد الله البوهي ابن الشيخ ابراهيم البوهى إمام المغفور له سعيد باشا والى مصر . تعـــلم بقسم الصيدلة بمدرسة الطب بقصر العيـــنى وتخرج منه والتحق صيدليـــا بالجيش إلى أن جاءت الحوادث العرابية فكان ملازما أول وصيدليا أول فى ١ جى ألاى

طوبجية سواحـــل الذى دافع عن حصون الاسكندرية يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وقد نجـا من المـــوت وبقى بالجيش الى أن كانت حوادث السودان وثورة المهدى . فارسل الى السودان صيدليا باحـدى الآلايات المصرية . ولمـا تغلـــب المهدى عـــلى السودان انقطعت أخبـــاره عن ذويه . ومن ذلك الحين لم يتلقـوا عنه خبرا إلى أن فتح السودان . وقد تحققوا بعد ذلك انه قتـــل مع من قتل من المصريين بعد تغلب المهـــديين على السودان . وقد ترك من الذرية ولدا واحدا كان يسمى ابراهيم محمد لمعى توفى وهو فتى لم يبلغ مبلغ الرجال .



فهـــرس

٢ ـــ فهرس

الموضوع	الصفحة